تاريخ
أوربا المعاصر

د. عبد اللطيف الصباغ

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

مقدمة:

اختلفت الآراء حول بداية التاريخ المعاصر، وأرجح الآراء ربطت بين بداية التاريخ المعاصر والأحداث الكبرى التي غيرت وجه التاريخ، بداية من القرن العشرين، حيث بدايات أو مقدمات الحرب العالمية الأولى، فلم تعد الحروب تقتصر في تأثيرها على بقعة محدودة من العالم، وإنما توسع تأثير الحروب والأزمات ليشمل أرجاء المعمورة، وهي بلا شك سمة جديدة اتسم بها تاريخ العالم في تلك الفترة لم تكن موجودة قبل ذلك، لذا استحق تاريخ العالم مع بداية القرن العشرين أن يتصف بصفة العالمية، من هنا كان اختيار مطلع القرن العشرين بداية للتاريخ المعاصر.

ويعد تاريخ أوربا المعاصر مفتاحاً لتاريخ العالم، فلا يمكن فهم تاريخ أي بقعة في العالم في تلك الفترة إلا في ضوء التاريخ الأوربي، فالأحداث التي وقعت في أوربا أثرت في تاريخ العالم كله، كذلك ما وقع من أزمات في البلقان أو في المغرب الأقصى ساهمت في توتر العلاقات الدولية وأسرعت بالعالم نحو الحرب الكبرى الأولى، وما وقع من مشكلات في الصين أو في الحبشة تأثرت بها أوربا، وساهمت في توتر العلاقات الدولية وأسرعت بالعالم نحو الحرب الكبرى الثانية.

ويتميز تاريخ أوربا المعاصر بتشابك العلاقات بشكل كبير يلقي بظلاله على الدارس والقائم بالتدريس، فعلى القائم بالتدريس أن يمسك بأزمَّة الأمور ويجمع بين دقائقها في توازن لا يخل بالهدف من تدريس الموضوعات، وعلى الدارس أن يفهم طبيعة المادة التي تتطلب منه اليقظة الدائمة والإلمام بخيوط المادة، ولا يتعامل مع الموضوعات كوحدات منفصلة، فالموضوعات يكمل بعضها البعض، ولا يمكن الاستغناء عن أي منها.

ولعل الهدف العملي من دراسة تاريخ أوربا المعاصر أن يطلع القارئ على تاريخ كتلة أرضية كانت لها صلات وثيقة في حقبة تاريخية في الماضي البعيد، ثم تحولت إلى قوميات متنافرة أو بالأحرى متنافسة فيما بينها، وشكلت المستعمرات ميداناً لهذا التنافس، بعد سلسلة من الحروب القارية التي يرجع بعضها إلى أسباب دينية ويرجع بعضها الآخر إلى أسباب تنافسية غطت فطرة طويلة من تاريخ أوربا الحديث.

بدأ تاريخ أوربا المعاصر بحرب كبرى تبعتها حرب أكبر أتيا على الخضر واليابس، وأكلت ما قدمت لها أوربا من خيرات جمعتها على مدار قرون عدة من المستعمرات، لتبني أوربا نهضة ما بعد الحرب العالمية الثانية بفكر جديد تكاملي بنَّاء بعيد عن التنافس والتحاسد والتباغض، وتعاون اقتصادي جديد ممثل في سوق أوربية شاملة، ليقدم للعالم درساً كبيراً في معالجة المشكلات بشكل عملي؛ علنا نستفيد من هذا الفكر في عالمنا العربي.

وعلى الله قصد السبيل

عبد اللطيف الصباغ

تمهيد

يتميز التاريخ الحديث بالتوسع الأوربي الذي فرضته ظروف أفرزتها النهضة الأوربية والثورة الصناعية والقوميات الناشئة، التي تطلعت إلى التوسع رمزاً للتفوق من ناحية، وبحثاً عن أسواق لتصريف منتجاتها من

ناحية ثانية، وتوظيف اليد العاملة والقضاء على البطالة من ناحية ثالثة، والبحث عن المزيد من المواد الخام من ناحية رابعة. وقد حاول المؤرخون تمييز أربعة مراحل من التوسع الأوربي منذ بداية العصور الحديثة، نتناولها فيما يلي:

أولاً: مرحلة التوسع القاري:

وتعني التوسع داخل القارة الأوربية، وقد بدأت تلك المرحلة مع ظهور الدول القومية في مطلع العصر الحديث، وترتبط بمحاولات التوسع داخل القارة الأوربية، وقد اتخذت في البداية شكل وراثة العرش بين القوميات الناشئة مثل بريطانيا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وإمبراطورية النمسا؛ فعند موت الإمبراطور مكسميليان انتقل عرش إمبراطورية النمسا إلى الإمبراطور الأسباني شارل الخامس، وعندما ضعفت الولايات الإيطالية تنافست عليها كل من فرنسا وأسبانيا. وتتضمن مرحلة التوسع القاري الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وحرب الوراثة الأسبانية (١٧٠٢- ١٧١٣م) وحرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠- ١٧٤٨م) وكذلك حرب السنوات السبع بين فرنسا وإنجلترا (١٧٥٦- ١٧٦٣م) والثورة الفرنسية وما ترتب عليها من حروب في الحقبة النابليونية، وحرب الإلزاس واللورين بين فرنسا وألمانيا ١٨٧٠م، وتدخل في التوسع القاري حربي البلقان وبدايات الحربين العالميتين الأولى والثانية، والحروب التوسعية للإمبراطورية الروسية، وتعد المحاولات الفاشية والنازية بين الحربين إحياءً لهذا النمط من التوسع.

ثانياً: مرحلة التوسع الإمبريالي:

وتعاصر المرحلة السابقة زمنياً، واستعمر بالمعنى الأوربي Colonies و Colonize لغة من ألفعل عَمّر ويعمر وتعني إعمار أرض خربة لا صاحب لها No Man's Land، أو إعمار أرض لا يستطيع أهلها إعمارها، وهي تسمية خيالية لا علاقة لها بالواقع المرير، فالأراضي المحتلة، ولم تشتكي الأرض من عدم قدرة أهلها على إعمارها. والمصطلح لا يعدو كونه محاولة لحل مشكلات الدول الكبرى

مثل مشكلة البطالة وأسواق لتصريف المنتجات والحفاظ على التفوق للجنس الأبيض، وأورد جرانت وتمبرلي معنى الاستعمار استيطان الجنس الأبيض فيما وراء البحار.

بدأت بوادر التوسع الاستعماري من جانب أسبانيا والبرتغال كرد فعل لحركة الاسترداد المسيحي لشبه جزيرة أيبيريا، حيث استولت البرتغال على سبتة ١٤١٥م ثم ميناء أغادير ١٥٠٤م، بينما استولى الأسبان على مليليه ١٤٩٧، وقد حالت حكومات المغرب القوية (سعدية وعلوية) دون استيلاء الأوربيين على مزيد من أراضي المغرب. ومع نجاح الأسبان في الوصول إلى العالم الجديد تمكنت أسبانيا من ضم معظم أرجاء أمريكا اللاتينية. فيما استولت البرتغال على البرازيل ثم اتجهت عبر رأس الرجاء الصالح إلى الهند والشرق الأقصى.

وبحلول عام ١٥٨٠م آل عرش البرتغال بمستعمراتها إلى فيليب الثاني ملك أسبانيا، بعد أنت خلا عرش البرتغال من وريث للعرش، ولم تهنأ أسبانيا فلقي أسطولها هزيمة منكرة على يد البحرية الإنجليزية الناشئة في معركة الأرمادا ١٥٨٨م دخلت أسبانيا مرحلة الأفول، فيما شهدت الساحة نشاطاً ملحوظاً لدول جديدة منها هولندا وإنجلترا وفرنسا. فتمكنت القوى الأوربية من تكوين مستعمرات في الأمريكتين والشرق الأقصى وبعض الجزر الواقعة في الطريق، وبعض جيوب على الساحل الأفريقي، بما فيها مستعمرة الكاب التي تعاقبت عليها البرتغال فهولندا ثم إنجلترا.

تمكنت هولندا من فرض سيطرتها على طريق رأس الرجاء الصالح في القرن السابع عشر، لذا حاولت إنجلترا وفرنسا كسر احتكار هولندا لطريق التجارة إلى الشرق، وخاضا معها عدة حروب أسفرت عام ٧٢-١٦٧٤م عن إقرار مبدأ التعويض الأرضي فيما بينهم، ولم يمنع هذا الهدف المشترك بين إنجلترا وفرنسا من التنافس والتناحر من أجل السيطرة على المضايق في الطريق إلى الشرق؛ بدأ هذا التنافس في حوض البحر المتوسط بعقد سلسلة من المعاهدات التجارة من الدول الإسلامية ممثلة في العثمانيين ودول المغرب سعدية وعلوية، ثم تحول الصراع إلى صراع عسكري في حرب السنوات السبع ١٧٥٦-

١٧٦٣م، فكانت سنة ١٧٥٩م سنة حاسمة في تاريخ الإمبراطورية الفرنسية، إذ فقدت مستعمراتها في كندا وجواد لوب في البحر الكاريبي وجوريا وفورت لويس في السنغال بغرب أفريقيا وبونديشري في الهند، لصالح إنجلترا التي تساهلت مع فرنسا في صلح ١٧٦٣م بسبب تعاطف أوربا مع الدول المنهزمة، فأعادت لها مستعمرتيها في الكاريبي (جواد لوب والمارتينيك) وأعادت لأسبانيا هافانا في الكاريبي ومانيلا في الشرق الأقصى. وإبان حرب الاستقلال الأمريكية استعادت فرنسا بعض مستعمراتها في جزر الهند الغربية وغرب أفريقيا.

وبانتهاء الحروب النابليونية خرجت بريطانيا بنصيب الأسد من مستعمرات فرنسا وأسبانيا والبرتغال، فلم يبق للدول الثلاث سوى بعض الجيوب الساحلية غير المؤثرة، في حين حرصت بريطانيا على فرض سيطرتها على المراكز المؤثرة في طرق مواصلاتها العالمية إلى الشرق والغرب في مداخل البحار والمحيطات، فأقمت سلسلة من القواعد البحرية في مسقط بمدخل الخليج العربي ١٦١٨م، ثم مضيق هرمز في المنطقة ذاتها، ومستعمرة جبل طارق سنة ١٧٠٤م، واستولت على مستعمرة الكاب من هولندا ١٨١٤م نظير رد جاوه إليها، واستولت من فرنسا على مالطة وجزر موريشيوس في أعقاب الحروب النابليونية سنة ١٨١٥م، واستولت على بعض جزر الهند الغربية وسنغافورة سنة ١٨١٩م، ثم استولت على عدن ١٨٣٩م، وفي سنة ١٨٧٨م فرضت سيطرتها على قبرص.

وإن كانت فرنسا قد فقدت معظم مستعمراتها في اليابسة عقب مؤتمرات الصلح ١٨١٥م، فليس معنى ذلك أنها فقدت نفوذها، فقد احتفظت بحقوقها في الصيد والتجارة في أعالي البحار، حيث تطورت ألفكرة الاستعمارية، فأقرت الدول الكبرى فكرة مبدأ حرية التجارة وحقوق الصيد، في ظل مرحلة جديدة من مراحل الاستعمار، هي مرحلة الإمبريالية والكلمة تعني بلوغ التوسع مداه، الأمر الذي أطلق يد القوى الأوربية عقب مؤتمر برلين ١٨٧٨م.

ولعل أكبر الدول الاستعمارية التي استفادت من النظم الاستعمارية الجديدة كانت بريطانيا، التي تحكمت في تلك النظم لمصلحتها والحد

من منافسة أعدائها، فاستحدثت نظم استثمارية جديدة في مستعمراتها، ثم ألغت تجارة الرقيق عام ١٨٠٦م، ساعدها على ذلك أن إمبراطوريتها قامت على النشاط التجاري، وقد استفادت بريطانيا بهذه الطريقة من حماية مبدأ منرو في الولايات المتحدة الأمريكية، فأصبح لبريطانيا إمبراطورية غير رسمية إلى جوار إمبراطوريتها الرسمية، وعندما حدث تسابق أوربي على تقسيم أفريقيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حاولت بريطانيا أن تسيطر على مداخل ومخارج البحرين الأحمر والأبيض المتوسط.وعندما تمكنت بريطانيا من تأمين طريق مواصلاتها أخذ ت في توطين رعاياها في المستعمرات، وعملت على توسيع مستعمراتها، فتغلبت على البنجاب في الهند سنة ١٨٥٧م، وأخضعته لنفوذها وعملت على تنمية الإدارة لدى الأمم الخاضعة لها، فلم يأت عام ١٨٦٠ حتى أقمت حكومات مسئولة في استراليا ونيوزيلندا وكندا، بينما تأخرت جنوب أفريقيا إلى سنة ١٩١٠م بسبب حروب بريطانيا مع البوير عبر ثلاثة حروب في أعوام ١٨٤٨ و ١٨٨١ و١٨٩٩– ١٩٠٢م وانتهى الأمر بإقامة اتحاد جمع بين البريطانيين والهولنديين، وقد ساعدت هذه السياسة بريطانيا في التخلص من المجرمين السياسيين وقدامى المحاربين وفائض السكان، لاسيما بعد الثورة الصناعية، التي عرفت طريقها إلى بريطانيا كأول دولة أوربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

أما التجربة الاستعمارية الفرنسية فقد اختلفت عن نظيرتها البريطانية، فبعد أن فقدت فرنسا معظم مستعمراتها عام ١٨١٥م لجأت إلى أفريقيا ثم إلى الشرق الأقصى، بدأت فرنسا بالجزائر على الساحل المقابل في سنة ١٨٣٠م،وبعد سبع عشرة سنة من المقاومة التي قادها عبد القادر الجزائري تمكنت فرنسا من إحكام سيطرتها على الجزائر، ثم أخذ ت في شق الترع والقنوات وإنشاء شبكة من الطرق، واستقطبت اليهود من الجزائريين فمنحتهم الجنسية الفرنسية، ثم قامت بتوطين مواطنيها في الأراضي التي صادرتها من البكوات والزعماء الجزائريين، وتدريجياً غدت الجزائر وكانها واحدة من المقاطعات الفرنسية، فمنحتها فرنسا حق انتخاب أعضاء البرلمان الفرنسي، ولم تتوقف فرنسا عن

التوغل في الصحراء، في محاولة للاتصال بالجاليات الفرنسية التي استوطنت غرب أفريقيا، وقد أدى هذا التوسع إلى احتكاك فرنسا بسلطان المغرب وبأي تونس في الوقت الذي تطلعت فيه إيطاليا لاحتلال تونس، كما أثار التوسع الفرنسي في السودان الغربي ثائرة بريطانيا.

وشهد منتصف القرن التاسع عشر تنافساً دوليا متوازناً في الشرق الأقصى، بدأته بريطانيا مع الصين في حرب (٤٠- ١٨٤٣م) لإرغامها على فتح بعض موانيها ولاسيما شنغهاي أمام التجارة الدولية التي كان معظمها من الأفيون، واستغلت فرنسا الفرصة فحصلت لبعثتها التبشيرية على حق حماية مصالح المواطنين المسيحيين سنة ١٨٤٤م، وعندما حاولت الصين المقاومة تعاونت بريطانيا وفرنسا في ضربها عامي ٥٨/ ١٨٦٠م حتى فتحت الصين أبوابها على مصراعيها أمام التجارة الدولية، بما فيها تجارة الأفيون. ومن ناحية أخرى وحف الدب الروسي في محاولة للوصول إلى المياه الدفيئة، فاستولى على بعض أراضي كوريا والصين ومنها ميناء فلاديفيستك. وعندما حدث اعتداء في جنوب الصين على البعثات التنصيرية الفرنسية أرسل نابليون الثالث حملة استولت على ما يعرف بالصين الهندية وجزء من كمبوديا في الفترة من ١٨٦٢- ١٨٨٥م، في محاولة لإيجاد توازن مع ممتلكات بريطانيا في هونج كونج والفلبين ونيوزيلندا واستراليا.

تعددت دوافع روسيا للتوسع في آسيا، فقد كان توسعها في سيبيريا للتخلص من العمالة الزائدة والمجرمين السياسيين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، أما في الصين فكان الهدف متمثلا في البحث عن ثغر على المحيط الهادئ لا يتجمد ماؤه، ولكن مع تأجج مسألة الشرق الأقصى وسياسة الباب المفتوح في الصين توقف الزحف الروسي سنة ١٨٦٠م عند ميناء فلاديفيستك الذي لا يتجمد ماؤه إلا في بعض شهور الشتاء، فحولت روسيا نشاطها إلى التركستان والدويلات الإسلامية الواقعة شمال وشمال غرب إيران وأفغانستان، فاستولت على طشقند سنة ١٨٦٤م، وسمرقند ثم كل من التركستان الشرقية والغربية سنة ١٨٧٣م، وحالت الصحراء القاحلة وجبال أفغانستان دون وقوع صدام بين بريطانيا

وروسيا، وكانت بريطانيا قد تصدت لروسيا عندما اعتدت على أفغانستان سنة ١٨٨٥م فتحولت إلى منشوريا في الصين لتقع في صدام مباشر مع اليابان، وانتهى الأمر بهزيمة قاسية للدب الروسي على يد اليابان ألفتية التي لم يتجاوز تاريخها الحديث نصف قرن.

وشهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تنافساً أوربياً حول استعمار أفريقيا، إلى درجة أن الجزء المستعمر من أفريقيا قبل مؤتمر برلين ١٨٧٨م لم يتجاوز ١٠% من مساحة القارة السوداء، وبنهاية القرن التاسع عشر لم يتبق من القارة السوداء مستقلاً سوى ١٠% فقط من مساحتها، أي أن حوالي ٨٠% من مساحة القارة المذكورة تم احتلاله خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ ففي سنة ١٨٨١ انقضت فرنسا على تونس، تبارك خطواتها كل من بريطانيا وألمانيا، في حين استشاطت إيطاليا غضباً، وفي العام التالي التهمت بريطانيا مصر، واعتبرت فرنسا أنها تعرضت لخديعة كبرى من جانب بريطانيا، ففرنسا صاحبة امتياز حفر قناة السويس، وشريكة بريطانيا في المراقبة الثنائية، لكن بريطانيا اشترت نصيب مصر في أسهم القناة بالاتفاق مع الخديو إسماعيل دون علم فرنسا، كما استشاط الوطنيون في مصر غضباً بسبب تلاشي شخصية الخديو أم بريطانيا، واستغلت بريطانيا أحداث الشغب في الإسكندرية ضد الخديوي وتدخلت بقواتها المسلحة لقمع ما اعتبرته ثورة ضد الخديوي واحتلت مصر في يونيو ١٨٨٢، ووعدت بريطانيا بالجلاء عن مصر بعد استتباب الأمن بها، لكنها كانت مجرد تهدئة لغضب كل من الدولة العثمانية وفرنسا وروسيا. وتبنت فرنسا المقاومة في مصر، وبلغت العداوة مداها في نهاية القرن التاسع عشر عندما تقدمت الجيوش الفرنسية من السنغال على السودان الغربي لتطويق الوجود الإنجليزي وإعاقته، حتى التقت القوتان عند فاشودا غربي السودان ١٨٩٩م، وكاد يقع صدام مسلح بينهما لولا مبدأ التعويض الأرضي التي أقرته الدول الأوربية في مؤتمر برلين الثاني، فظهر نوع من التقارب بين الدولتان اكتملت حلقاته في سنة ١٩٠٤م، وأسفرت هذه السياسة عن إطلاق يد فرنسا وأسبانيا في المغرب الأقصى.

أما ألمانيا التي كانت عازفة لمدة طويلة عن الاستعمار جاء تأييدها لبريطانيا في مصر طمعاً في تأييد بريطانيا لها في الحصول على بعض المستعمرات في أفريقيا لتأمين تجارتها، ففي يوليو من عام ١٨٨٢م أعلنت ألمانيا ضم ساحل الكاميرون وتوجو، وبعد نزاع مع بريطانيا تم تقسيم غينيا الجديدة إلى جزأين؛ شمالي لألمانيا وجنوبي لبريطانيا، وفي سنتي ١٨٨٥/٨٤ ضمت ألمانيا أفريقيا الشرقية (تنجانيقا) وفي خلال عامين أصبح لألمانيا إمبراطورية كبيرة دون أسطول أو جيوش جرارة. وعلى نسق سياسة بسمارك ولكن بأسلوب آخر تمكن ليوبولد الثاني ملك بلجيكا من إيجاد مركز اقتصادي قوي لنفسه في الكونغو، بعد أن كلف المستكشف "ستانلي" بعقد معاهدات مع أهالي البلاد لإنشاء دولة الكونغو الجديدة (١٨٧٨- ١٨٨٤م) وعلى الرغم من الطابع التجاري لهذه المعاهدات فقد أبدت فرنسا والبرتغال خشيتهما، الأمر الذي أدى إلى عقد مؤتمر برلين في الفترة من أكتوبر ١٨٨٤ إلى فبراير ١٨٨٥ الذي أقر المصالح البلجيكية في دولة الكونغو الحرة.

استمرت الإمبريالية في النصف الأول من القرن العشرين تحميها معاهدات التحالف والتكتلات، غير أن الأزمات التي أفرزتها الأحقاد المتبادلة بين الدول الإمبريالية أدت في النهاية إلى اشتعال حرب عالمية استمرت من ١٩١٤- ١٩١٨ جرت إليها قوى عديدة لم تشارك في أصول الحرب، لكنها اشتركت بفضل سياسة التحالفات، واستمرت الإمبريالية بعد الحرب العالمية الأولى ممثلة في نظام الانتداب، الذي أقرته عصبة الأمم. وما لبث العالم أن انجرف إلى حرب عالمية ثانية في الفترة من ١٩٣٩- ١٩٤٥م والتي قلبت موازين القوى في العالم تماماً، واستمرت الإمبريالية بشكل محدود ممثلا في نظام الوصاية الذي أقرته الأمم المتحدة.

ومع بداية النصف الثاني من القرن العشرين بدأت الحركات الاستقلالية في دول العالم الثالث، ونجحت هذه الدول في الحصول على استقلالها، ساعدها على ذلك انتشار عدوى الروح القومية فيما بينها من ناحية والوعود التي حصلت عليها من الدول الاستعمارية

بالاستقلال إبان الحرب العالمية من ناحية ثانية، ولعل أهم العوامل التي ساعدتها للحصول على استقلالها ما أسفرت عنه الحربين من تدمير مقدرات الدول الاستعمارية وإنهاك قواها وانتقال مراكز القوى إلى عواصم جديدة، بدأت صراعاً جديدا باردا فيما بينها، أبعدها مؤقتاً عن تبني سياسة استعمارية عسكرية مباشرة.

الفصل الأول

أصول الحرب العالمية الأولى ومقدماتها

انساقت دول أوربا بصفة خاصة وغالبية دول العالم عامة إلى الحرب العالمية الأولى، التي تعد أول حرب شهدها العالم بهذا القدر من العنف والقوة والدمار، وهي حرب لم يستطع أحد التنبأ بنهايتها أثناء اشتعال جذوتها، وقد سخرت الدول الكبرى في تلك الحرب كل إمكاناتها، الجدير بالذكر أن تلك الحرب جاءت بعد تكالب الدول الأوربية على المستعمرات، فامتلأت خزائن العواصم الأوربية بثروات

المستعمرات، وشهدت المستعمرات تنافساً أوربياً مريراً، كاد يؤدي إلى أكثر من حرب كبرى.

الجدير بالذكر أن الحرب العالمية الأولى لم تعرف بهذا الاسم إلا في منتصف القرن العشرين تقريباً للتمييز بينها وبين الحرب العالمية الثانية، أما في وقتها فكانت تعرف بالحرب الكبرى، ولكن وصفها بالعالمية جاء من قبل الأكاديميين الأوربيين ليقدم توصيفاً دقيقاً لتلك الحرب التي راح ضحيتها ملايين البشر كما التهمت نتاج الثورة الصناعية الكبرى في أوربا، من هنا تأتي أهمية البحث في أصول تلك الحرب ومقدماتها، أو بمعنى آخر الجذور التاريخية لها.

ويتطلب البحث في الأصول التاريخية للحرب العالمية الأولى من دارس التاريخ تتبع المصالح الخاصة بالدول الكبرى، فقد أدى تصادم تلك المصالح إلى قيام أربعة أزمات عقب الاتفاق الودي ١٩٠٤م وبالتحديد في السنوات العشر التالية للاتفاق، تركزت الأزمات الأربع في ميدانين اثنين، تميز كل منها عن الآخر بعدة ميزات، واقتسم الميدانان الأزمات الأربع بالتساوي فيما بينهما، كادت أن تكون أي من تلك الأزمات شرارة لحرب كبرى، وبالفعل كانت الأزمة الرابعة (أزمة مقتل الأرشيدوق النمساوي) هي شرارة الحرب العالمية الأولى. وفيما يلي نتحدث عن هذه الأزمات تفصيلياً.

الأزمة المغربية الأولى (١٩٠٥/١٩٠٦م)

اشتعلت الأزمة المغربية الأولى إثر نزول إمبراطور ألمانيا وليم الثاني في طنجة وتصريحه بأن بلاده لا تحتمل الاتفاق الودي بين انجلترا وفرنسا، والذي أطلقت فيه الأولى يد الثانية في مراكش، وأنه يساند الشعب المغربي في حقه في الدفاع عن استقلال بلاده.

وكانت ألمانيا قد بدأت في مرحلة متأخرة تتطلع إلى زيادة مستعمراتها في القارة الإفريقية وتحديداً بعد انتهاء سياسة بسمارك عام ١٨٩٠، وتدين ألمانيا بوحدتها وقوتها إلى مستشارها الفذ بسمارك الذي نجح في توحيد ألمانيا عام ١٨٧١م، ثم اتبع سياسة محافظة تبتعد ببلاده عن مشكلات أوربا فساهم بسمارك في حفظ السلام في أوربا

طـول فتـرة حكمـة، فلـم يـر بسـمارك ضـرورة لتوسـيع رقعـة ألمانيـا علـي حسـاب أيـة دولـة أخـرى فـي أوربـا، ونجـح بسياسـته الهادئـة فـي تكـوين إمبراطوريـة محـدودة لـبلاده فـي القـارة السـمراء تحقـق لهـا كيانهـا كدولـة أوربية وتلبي بعض الاحتياجات من المناطق الحارة، ففي يوليو ١٨٨٢ أعلنت ألمانيا ضم ساحل الكاميرون وتوجو، وبعد نزاع مع بريطانيا تم تقسيم غنينا الجديدة إلى جزئيين شمالي لألمانيا وجنوبي لبريطانيا. وفي عامي ٨٤/ ١٨٨٥م ضمت ألمانيا أفريقيا الشرقية (تنجانيفا) وفي خلال عامين أصبح لألمانيا إمبراطورية معقولة دون أسطول أو جيوش جراره.

تغيرت سياسية ألمانيا بعد فترة حكم بسمارك عام ١٨٩١م، فبدأت ألمانيا تتطلع إلى تحقيق سياسة خارجية أكثر نشاطاً، فلم تكتف بم حصلت عليه من مكاسب دون جهد كبير في عصر بسمارك، غير أن هذه السياسة جاءت عقب تقسيم أفريقيا في مؤتمر برلين الثاني عام ١٨٨٥م، ومن ثم حاولت ألمانيا تحقيق سياستها بمناوئة الدول الاستعمارية ولاسيما بريطانيا وفرنسا.

وقاد ألمانيا لتحقيق هذه السياسة إمبراطورها وليم الثاني، يعاونه المستشار الألماني بيلوف، ومن الغريب أن السياسة الجديدة لألمانيا كانت تلقي تأييداً واسع النطاق من الطبقات المثقفة داخل ألمانيا، حيث انتشرت الجمعيات الداعية لهذه السياسة ومنها الجمعية الجرمانية والجمعية الاستعمارية اللتان تزعمتا الدعوة لغرس الشعور بالقوة الألمانية في النفوس وإعادة أمجاد آبائهم بانتصاراتهم علي فرنسا في سادوفا وسيدان.

وجدت ألمانيا أن أهم مجالات تحقيق هذه السياسة هي المغرب ووسط أفريقيا، فأشار المستشار الألماني بيلوف علي الإمبراطور وليم الثاني أن ينزل في طنجة ويعلن معارضة بلادة لسياسة فرنسا في المغرب والوفاق البريطاني– الفرنسي في هذا الصدد – في محاولة لعرقلة جهود فرنسا في المغرب وتحقيق مصداقية ومكاسب لبلاده هناك، الأمر الذي تسبب في أزمة دولية، انتهت بتحويل المسألة إلى مؤتمر دولة لبحث مستقبل المغرب، عقد المؤتمر في مدينة الجزيرة، الخضراء في المغرب في ١٦ يناير ١٩٠٦م.

لم يحقق المؤتمر لألمانيا ما كانت تصبوا إليه، بل جاءت معظم قراراته لصالح فرنسا، حيث وقفت الدول المشاركة في المؤتمر في جانب فرنسا فيما عدا إمبراطورية النمسا والمجر، أما بريطانيا وإيطاليا وأسبانيا وروسيا فقد وقفوا جميعاً بجانب فرنسا، فبريطانيا خليفة فرنسا بمقتضي اتفاق ١٩٠٤ وكذلك إيطاليا أما أسبانيا ففضلت الوقوف بجانب جارتها وشريكتها في المغرب، وحسمت روسيا موقفها لصالح فرنسا بعد فشل الإمبراطور الألماني في استماله القيصر الروسي رسمياً عام ١٩٠٥ حيث تصدت الوزارة الروسية لاتفاق بجركو الذي توصل إليه الإمبراطور والقيصر في يوليو ١٩٠٥ في مدينة بجركو حيث رفضت الوزارة الإطاحة باتفاق بلادها مع فرنسا.

توصل المؤتمرون في الجزيرة الخضراء إلى إسناد الأمن في ربوع مراكش إلى قوة بوليس متعددة الجنسيات يعهد بقيادتها إلى فرنسا وأسبانيا كل في منطقة نفوذه، وأن تقوم كل منهما بتنفيذ ما تراه مناسباً من الإصلاحات في هذا الصدد، ونظرا لمعاناة المغرب من نقص الموارد طالب المؤتمر أن يعهد بالإشراف علي تنظيم الجمارك إلى أسبانيا في منطقة الريف وتخومها، ويعهد إلى فرنسا بالمناطق المتاخمة لمستعمراتها في الجزائر، كما تقرر إنشاء بنك دولي بإشراف الدول الأربع الكبرى انجلترا وفرنسا وأسبانيا وألمانيا، وهو المكسب الوحيد لألمانيا من المؤتمر، إن اعتبرناه مكسبا وهو في الحقيقة مغرما وليس مكسبا. أما مدينة طنجة فقد طالبت بريطانيا بتدويلها، حتى تضمن عدم خضوعها لدولة قوية مثل فرنسا تقف في مواجهة بريطانيا الموجودة في جبل طارق منذ عام ١٧٠٢م.

٢- أزمة البلقان الأولى ١٩٠٨ (البوسنة):

تعد منطقة البلقان الميدان الثاني الذي اشتعلت به أزمتين قبيل الحرب العالمية الأولى، ونحاول في هذه السطور القليلة أن نتعرف على طبيعة الصراع في هذا الميدان، خضعت منطقة البلقان للدولة العثمانية منذ القرن الخامس عشر، واستمرت خاضعة للنفوذ العثماني حتى أواخر القرن التاسع عشر، بدأت الثورة ضد الدولة العثمانية بتحريض من روسيا والدول الأوربية، وقد نجح اليونانيون في التخلص من الحكم

العثماني في سنة ١٨٢٧ بعد مساندة عسكرية برية وبحرية من القوات البريطانية والفرنسية والروسية، واستمر التحريض الروسي ضد الدولة العثمانية.

وفي أعقاب معاهدة باريس ١٨٥٦م زاد تغلغل الدول الأجنبية في الدولة العثمانية، ساعد علي ذلك أمران، الأول زيادة الأزمة المالية وزيادة الديون العثمانية من دول أوربا، الأمر الذي أدي إلى إنشاء بنك في استانبول تحت إشراف دولي (إنجليزي، فرنسي، نمساوي) الأمر الثاني محاولات الدول الأوربية تبني برامج إصلاحية علي النظم الغربية في الدول العثمانية، وثمة عامل ثالث أدي إلى الثورة في ممتلكات الدولة العثمانية، تمثل في تأثير حركة الوحدة الإيطالية و الألمانية في الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية وبخاصة شعوب البلقان.

تبنت الصرب الحركات الانفصالية في البلقان علي أساس الوحدة السلافية واتخذت روسيا من الصرب مركزاً لنشاطها ضد الدولة العثمانية. وحاولت الصرب من جانبها إيجاد تحالف بين دول البلقان المسيحي وتعقد بالفعل في الستينيات معاهدات سرية للدفاع والهجوم والتقسيم مع كل من الجبل الأسود ورومانيا واليونان أما رومانيا فقد اختلفت الآراء حولها بعد حرب القرم، واستقر مؤتمر باريس علي أن يكون لكل من ولايتي (الأفلاق والبغدان) حاكم تحت إشراف السلطان العثماني، غير أن الولايتين قررتا اختيار رئيس واحد لهما، ثم سمح السلطان بضم مجلس الولايتين في مجلس واحد وتعديل الاسم ١٨٦٢ إلى رومانيا، وفي بلغاريا قامت الثورة ١٨٧٥م، ولكنها ثورة غير ناضجة فأمكن القضاء عليها وحصل "الجبل الأسود " علي استقلاله الجزئي منذ عام ١٧٩٩م غير أن المصادمات ظلت مستمرة بين الأتراك وسكان الجبل حتى عادت القوات التركية وفرضت علي السكان الاعتراف بالسيادة العثمانية ١٨٦١م، أما البوسنة والهرسك فبدأت الثورة ١٨٧٥ بمصادمات بين المسلمين والأرثوذكس، وتحولت الأحداث إلى ثورة عامة نتيجة لتدخل الروس وسوء الإدارة العثمانية، وأدي عجز الأتراك إلى تدخل الدول.

بدأ التدخل الدولي فور اندلاع الثورة بتحرك روسيا التي اتفقت مع النمسا علي إرسال مذكرة (اندراشي) للدول الأوربية الكبرى الموقعة علي معاهدة باريس ١٨٥٦م، وتتضمن إلزام الحكومة التركية بإجراء إصلاحات في المناطق التابعة لها وتوافق الدول المذكورة علي المذكرة، وتقبلها تركيا، علي الرغم من أنها تعد تدخل في شئونها الداخلية، غير أن الثوار لم يقبلوا المذكرة وبذلك فقدمت مذكرة اندراشي قيمتها بالرغم من أنن روسيا وكانت تهدف من وراء المذكرة إلى إزكاء نار الثورة والإيقاع بالدولة العثمانية مرة أخرى يجتمع المستشارون الثلاث (النمساوي والألماني والروسي) في برلين ليضعوا مذكرة برلين، وتدعو لوقف القتال لمدة شهرين، يحتفظ خلالها الثوار بسلاحهم ويشرف قناصل الدول علي تنفيذ الإصلاحات وتأمين مناطق الثورة وقد وافقت عليها فرنسا وإيطاليا واعترضت بريطانيا، لأنها لم تستشر في المذكرة، وعلي ذلك تفشل المذكرة.

تزداد الاضطرابات في الدولة العثمانية بمقتل القنصل الفرنسي والقنصل الألماني في سالونيك، فيعزل الأتراك السلطان عبد العزيز في ٣٠ مايو ١٨٧٦م ويتولى السلطان مراد ويزداد الموقف تعقيداً بإعلان الصرب الحرب في ٣٠ يونيو كما أعلن الجبل الأسود وتقوم الثورة في بلغاريا وتقع المذابح هناك في الفترة من مايو – ديسمبر ١٨٧٦م ودخلت الصرب الحرب ضد تركيا بإغراء من روسيا، التي زودتها بمقاتلين (ضباط رسميين ومتطوعيين) بالرغم من النصائح الأنجلو – فرنسية للصرب بعدم إعلان الحرب ونجح الأتراك في دخول صربيا وتحطيم قوتها في يوليو إعلان الحرب ونجح الأتراك في دخول صربيا وتحطيم قوتها في يوليو وأغسطس وانتهي الأمر بتسليم الصرب في أول سبتمبر.

حاولت روسيا حرمان الدولة العثمانية من ثمرة انتصارها علي الصرب، فأثارت الأزمة علي النطاق الدولي، واقترحت عقد مؤتمر وسرعة وقف القتال، لكن الدول اختلفت حول مدة الهدنة، الأمر الذي شجع الأتراك علي رفض الهدنة وفي إنجلترا تأثر الرأي العام بالتضخيم الإعلامي لما أثر حول قيام الدولة العثمانية بمذابح جماعية للبلغار

(المسيحيين) فعرقل مسيرة الحكومة الإنجليزية في التصدي للروس، غير أنها اقترحت حل المشاكل البلقانية سليما، وقدمت خطة للعمل في البلقان، واقترحت روسيا في حالة رفض تركيا للخطة البريطانية، دخول أساطيل الدول الكبرى إلى البسفور، وتقوم النمسا باحتلال البوسنة، وروسيا باحتلال بلغاريا وقدمت روسيا إنذاراً إلى الدولة العثمانية، التي لم تجد أمامها بديلاً عن وقف القتال وبذلك تم إنقاذ الصرب.

عقد مؤتمر القسطنطينية (ديسمبر ١٨٧٦م) في ظروف غير طبيعية، حيث أطاح الأتراك بالسلطان مراد بعد توليه السلطة بأشهر قليلة وجاءوا بالسلطان عبد الحميد ويتوصل المؤتمر إلى قرارات حافظت علي أرض الصرب، وضمت أجزاء من الهرسك وألبانيا إلى الجبل الأسود، واعتبرت البوسنة والهرسك مقاطعة واحدة، وتقسيم بلغاريا إلى قسمين (شرقي وغربي) ويكون لها حاكم وللبوسنة والهرسك حاكم تعينهما الدول الأوربية وتوافق عليها تركيا لكن الدولة العثمانية ترفض قرارات المؤتمر وبذلك تحقيق روسيا ما أرادت وحملت بريطانيا وحدها روسيا ما أرادت وحملت بريطانيا وحدها لواء المبادرة، لكن السلطان رفض توقيع بروتوكول لندن مارس ١٨٧٧م.

أعلن القيصر الروسي الحرب علي الدولة العثمانية في أبريل، فهاجمتها في أوربا وأسيا معاً وحققت عليها انتصارات عدة انتهت بقبول الدولة العثمانية معاهدة سان استيفانو (مارس ١٨٧٨م) وبمقتضاها تبقي الجيوش الروسية في بلغاريا لإعلان استقلالها تماما، وتضم معظم مقدونيا، ويعين لها أمير منتخب كما تستقل الصرب والجبل الأسود ورومانيا وتمنح البوسنة الإصلاحات المطلوبة، تحت إدارة نمساوية روسية مشتركة، وتضم روسيا بعض أراضي الدولة العثمانية في آسيا، إضافة إلى غرامة مالية فرضت علي الدولة العثمانية.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر قام سكان الجبل الأسود والصرب بتحريض بلاد البوسنة والهرسك المسلمة للخروج على الدولة العثمانية سنة ١٨٧٦م ،استطاع العثمانيون إخمادها، حاول السلطان عبد الحميد منع الدول الأوربية من التدخل وإرضاء أهالي البوسنة

بتطبيق إصلاحات، فأصدر قرارا بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية، وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالي، والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى، وعلى الرغم من ذلك استمرت الثورة بتحريض من النمسا حتى تخلت الدولة العثمانية عن الإقليم، ونجحت النمسا في الحصول على تفويض من الدول الأوربية بإدارة إقليم البوسنة والهرسك في مؤتمر برلين ١٨٧٨م.

وفي البلغار اشتعلت الثورة في الوقت نفسه الذي قامت فيه البوسنة والهرسك بثورتها بدعم من روسيا، فتأسست جمعيات في بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسي بين النصارى الأرثوذكس ذات الأصل السلافي، وتمكنت الدولة العثمانية من القضاء ثورة البلغار، فأخذت الدول الأوربية تثير الشائعات عن المجازر التي ارتكبتها ضد النصارى فأثارت الرأي العام الأوربي ضد الدولة العثمانية، وطالبت الحكومات باتخاذ إجراءات صارمة ضد الدولة العثمانية، ومنها حصول البلغار علي حكم ذاتي وتعيين حاكم مسيحي لهم.

واندلعت نار الثورة أيضا في بلاد الصرب الذين طالبوا السلطان بإصلاح الإدارة المحلية والقضاء علي الفساد وسوء استخدام السلطة، ولما زادت حدة الخلاف تدخلت روسيا في الصراع بدفع الصرب والجبل الأسود لحرب ضد الدولة العثمانية، مع وعد من كل من روسيا والنمسا بتقديم دعم مادي وعسكري، وشرع الجنود الروس بالتدفق خفية علي بلاد الصرب والجبل الأسود. دارت الحرب بين القوات العثمانية من ناحية وقوات الصرب والجبل الأسود المدعومة من روسيا من ناحية أخرى، حقق العثمانيون انتصارا فتح الطريق أمامهم إلي بلغراد، فقامت روسيا بتوجيه إنذار شديد اللهجة إلي الباب العالي بوقف إطلاق النار خلال ٤٨ ساعة، وعقد هدنة بين الطرفين، فقبلت الدولة العثمانية الإنذار مرغمة.

اجتمع مندوبو الدول الأوربية في اسطنبول وقدموا اقتراحات للدولة العثمانية أهمها: تقسيم بلاد البلغار إلى ولايتين تحت إدارة مسيحية، وشكلت لجنة دولية لتنفيذ هذه القرارات، وأن تعطى هذه الامتيازات لإمارتي البوسنة والهرسك، وأن تتنازل الدولة عن بعض الأراضي

للصرب والجبل الأسود ولكن رفضت الدولة العثمانية هذه القرارات، وعقدت صلحا منفردا مع الصرب سحبت بمقتضاه جيوشها من بلاد الصرب، وأن يرفع العلم العثماني والصربي دليلا على السيادة العثمانية، ولكن بعد هزيمة الدولة أمام الاجتياح الروسي لأراضيها والاضطرابات الداخلية العثمانية، وافقت الدول المتصارعة على توقيع معاهدة (سان استيفانو) ١٨٧٧ وضمت بنودها:

- تعيين حدود للجبل الأسود والاعتراف باستقلاله الذاتي.
- تستقل إمارة الصرب ذاتيا.
- تستقل بلغاريا استقلالا ذاتيا إداريا، وتدفع مبلغا محدد للدولة العثمانية، ويكون موظفو الدولة والجند من النصارى فقط، وتعيين الحدود بمعرفة العثمانيين والروس.
- تحصل رومانيا على استقلالها التام.

ونجم عن اتفاقية سان استيفانو زيادة للنفوذ الروسي في ربوع البلقان برمته، ولما كان ذلك يخل بتوازن القوي على الساحة الأوربية، فقد سارع الأوربيون وعلى رأسهم المستشار الألماني الداهية، إلى عقد مؤتمر برلين ١٨٧٨ أدى إلى حرمان روسيا من كثير من مكاسبها، فشكلت في جنوب البلقان ولاية باسم الروملى الشرقي تكون تحت سيادة الدولة العثمانية سياسيا، ويحكمها مسيحي يعين لمدة خمس سنوات باتفاق الدولة، وضمت النمسا البوسنة والهرسك إداريا.

وبحلول القرن العشرين أصبح الجزء الأوربي من الدولة العثمانية عبارة عن سهل ساحلي صغير يمتد من أدرنة إلى اسطنبول، والواقع أن خمسين بالمائة من رعايا الدولة العثمانية كانوا يعيشون في البلقان حتى عام ١٨٥٠م أصبحت هذه النسبة لا تتجاوز العشرين بالمائة

أشعلت النمسا أزمة دولية في عام ١٩٠٨ كانت أن تؤدي إلى قيام حرب أوربية شعواء، وذلك أن إعلانها ضم إقليمي البوسنة والهرسك رسمياً إليها تساندها ألمانيا، وكان مؤتمر برلين ١٨٧٨ قد عهد إلى النمسا بإدارة إقليمي البوسنة والهرسك، وكان إمبراطورية النمسا والمجر تضم عدداً من القوميات المختلفة وتحاول الإمبراطورية منع أية قومية

من الظهور أو الاستقلال، وقد تزعمت الصرب[1] آنذاك الدعوة إلى القومية السلافية تساندها في ذلك روسيا، وعند إعلان النمسا ضم البوسنة ثارت الصرب ومن ورائها روسيا، وكادت أن تشتعل حرب في المنطقة، لولا أن الجهود الدبلوماسية حسمت المسألة لصالح إمبراطورية النمسا، ويرجع الفضل إلى مساندة الدول الأوربية وبخاصة ألمانيا.

٣- الأزمة المغربية الثانية ١٩١١ (أغادير):

لم ينه مؤتمر الجزيرة الخضراء يناير ١٩٠٦ اهتمام ألمانيا بالمغرب أو بالنشاط الفرنسي هناك، بل ظلت ألمانيا تتابع بقلق نجاح فرنسا في تحقيق أطماعها التوسعية في المغرب رويداً ورويداً بما أسمته سياسة التهدئة specification وعندما تدخلت فرنسا في المغرب عسكرياً مساندة مولاي عبد الحفيظ في صراعه علي السلطة مع أخيه عبد العزيز ودخلت القوات الفرنسية العاصمة المغربية، ثارت ألمانيا وأرسلت طراداً ألمانيا متظاهراً بالقوة أمام شواطئ أغادير، الأمر الذي أثار أزمة دولية وسرعان ما تدخلت بريطانيا لإنهاء الأزمة ، وتنازلت فرنسا عن جزء من أملاك ها في الكنغو الفرنسية لصالح ألمانيا، فأطلقت الأخيرة يد فرنسا في المغرب.

هكذا يتضح أن الأزمات تثيرها وتحسمها المصالح، فتتدخل ألمانيا وتثير الأزمة بسبب مصالحها لا لمساندة الشعب المغربي أو لدفع العدوان عنه – حسبما ذهب البعض – وقد تعددت الدوافع بين سياسية و اقتصادية غير أنها تقف جميعها خلف ستار المصالح، وألمانيا تريد أن تحقق لنفسها مكاسب أرضية خارج القارة الأوربية، يأتي ذلك في إطار المجموعة الاقتصادية الألمانية التي تريد أن تبحث عن أسواق لتصريف منتجاتها خارج أوربا ، كما تبحث عن مصادر للمواد الخام.

---

(١) قبائل من السلاف استوطنوا شاطئ البحر الإدرياتيكي وانتشروا جنوبا حتى مقدونيا والجبل الأسود وأخضعهم البلغار، وما لبث الصربيون أن شكلوا دولة استولت على البلقان وضمت لأملاكهم البوسنة والهرسك في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، نجح العثمانيون في إخضاع الصرب في ١٣٨٩م، ولكن لم يخضع الصربيون للدولة العثمانية بشكل نهائي إلا عام ١٤٥٩م، واستمرت خاضعة للحكم العثماني خمسة قرون متوالية.

وقد أدت الأزمات الثلاثة السابقة والتي كانت أسباباً غير مباشرة للحرب إلى توتر العلاقات الدولية وزيادة التحالفات والتحالفات المضادة، كما أدت بشكل مباشر إلى سباق في التسلح البري والبحري، وبخاصة أن التسلح البحري يعد من الأسلحة الحديثة، التي بها تقاس قوة الدول وكان أشد وأقوي التنافس البحري تلك الذي شهده مسرح الأحداث بين انجلترا وألمانيا فالأخيرة رأت في زيادة تسلحها البحري سبيلاً لإرغام بريطانيا علي عمل حساب لألمانيا في مكان لها تحت الشمس، وبالفعل وضع الأمير الفون تيربيتز "قائد الأسطول الألماني" برنامجاً في مطلع القرن العشرين لنمو الأسطول الألماني، وكان علي بريطانيا أن تواجه الأمر فأما أن تدخل في سباق مع ألمانيا وأما أن تساوم ألمانيا لوقف تسلحها أو الحد منه، وتحتم علي بريطانيا أن تسلك الطريق الأخير، حيث أن الدخول في سباق من هذا النوع يرهق الميزانية ويتطلب فرض ضرائب جديدة، فيكون علي حساب رفاهية رجل الشارع.

حاولت بريطانيا مساومة ألمانيا عام ١٩٠٧، ثم عادت مرة أخرى عام ١٩١٢ فاشترطت ألمانيا الحصول علي وعد من بريطانيا بعدم الهجوم والحياد عند دخول ألمانيا حرباً ليست فيه معتدية، رفضت بريطانيا الوعد بالحياد ووافقت علي عدم الهجوم، نظراً لارتباطها مع كل من فرنسا وروسيا في اتفاق ثلاثي، وبذلك فشل الاتفاق، فكان لذلك عواقبه الوخيمة.

وإذا كانت ألمانيا قد دخلت في سباق بحري مع بريطانيا فقد دخلت في سباق بري مع جارتها فرنسا، والملاحظ أن نوعية السباق في الحالتين ارتبط بالبعد المكاني وفي إطار التسابق العسكري البري بين ألمانيا وفرنسا نجد الأولى تزيد (عام ١٩١٣) من قواتها العسكرية في حالة السلم من ٦٥٠ ألف مقاتل إلى ٩٠٠ ألف مقاتل، وردت الثانية بزيادة فترة التجنيد من سنتين إلى ثلاث ومما لا شك فيه أن هذا التسابق ناتج عن التوتر الدولي ويهدف في النهاية إلى الاستعداد لخوض الحروب.

٤- أزمة البلقان الثانية ١٣/ ١٩١٤م:

مرت الأزمة البلقانية الأولى دون حل مرض للأطراف، فرضخت روسيا لإرادة بريطانيا والنمسا وتأجل الحل لأزمة أخرى، لكنها لم تفقد الأمل وأخذت تلعب على الاستفادة من ضعف الدولة العثمانية للوصول إلى المياه الدافئة، لعبت روسيا على تكوين عصبة بلقانية ضد الدولة العثمانية مستغلة فورة القومية المعادية للعثمانيين، ولم يكن هذا بالأمر السهل إذ كانت البلقان تضم قوميات متباينة متصارعة متطلعة لمستقبل أكثر إشراقا على المستوى القومي، حاول الاتحاديون إحكام قبضتهم على مقدونيا بزيادة أعداد المسلمين في تلك المناطق لمواجهة الاتجاه إلي الاستقلال في هذه المنطقة. بدأت العصبة البلقانية عام ١٩١٢ بحلف يوناني بلغاري تعهدا بموجبه البلدان بتبادل المساعدات في حالة وقوع هجوم تركي، وانضم إليهما الجبل الأسود ثم الصرب، وشجعت الحكومة الإنجليزية سرا تكوين هذا الحلف، لارتماء رجال الاتحاد والترقي في أحضان ألمانيا. و مع أن روسيا شجعت تكوين مثل هذه العصبة إلا أنها خشيت من أثر العصبة السلبي على الدولة العثمانية بشكل يهدد أطماع روسيا نفسها في المنطقة، لذا حاولت روسيا بالتعاون مع فرنسا الحد من نشاط العصبة ولكن دون جدوى، و لم يلبث الجبل الأسود أن أعلن الحرب على الدولة العثمانية. وقد أدت الأهداف المتضاربة للأعضاء على حل العصبة في عام ١٩١٣، ومع ذلك أدت هذه العصبة إلى تقوية الحركة اليوغسلافية.

وإذا كانت الأزمات الثلاث السابقة تمثل أسباباً غير مباشرة للحرب فأن الأزمة الرابعة تعد سبباً مباشراً للحرب، وقد ارتبطت هذه الأزمة بمنطقة البلقان، تلك المنطقة التي كانت تابعة للدولة العثمانية ما لبثت أن ظهرت القومي السلافية بتشجيع من روسيا منذ السبعينات من القرن التاسع عشر، وتزعمت الحرب الدعوة للقومية السلافية في محاولة للانسلاخ عن الدولة العثمانية وتجميع أشتات هذه القومية في الدول العثمانية والإمبراطورية النمساوية التي أعلن ت ضم البوسنة والهرسك رسمياً عام ١٩٠٨، تمكنت الصرب من جمع الشمل في العصبة البلقانية عام ١٩١٢ فتمكنت من سحق الأتراك، فلم يبق لهم سوي الأستانة، ثم انقلبت الأمور رأسا علي عقب بازدياد الروح القومية في

منطقة البلقان فأخذ ت بلغاريا[1] ورومانيا واليونان والصرب والجبل الأسود كل منهم يعمل لخدمة أهدافه علي حساب الآخر فثارت الحروب عامي ١٢ و ١٩١٣م.

وبدت الصرب أقوي دولة البلقان، غير أن النمسا تصدت لها في مؤتمر لندن، المنعقد لوضع خريطة جديدة للبلقان، وكانت الصرب ترمي إلى إيجاد منفذ بحري لها علي الأدرياتيك في حين عزمت النمسا علي عدم تنفيذ ذلك، نجد روسيا تساند مطالب الصرب، وكادت تقوم حرباً أوربية لولا سياسة بريطانيا الحكيمة، حيث نجحت في الخروج بالأزمة عن طريق استقلال دولة ألبانيا الصغيرة، ووضع حاكم الباني علي رأسها، وسارت عدوي الحرب مرة أخرى داخل العصبة البلقانية عندما شعرت بلغاريا بعدم الحصول علي تعويض كاف، غير أن الهزيمة فرضت عليها صلح مهين، وكان من نتائج حروب البلقان ضعف الأتراك وهزيمة بلغاريا، بينما قنعت اليونان بما حصلت عليه (أدرنه) وازدياد قوة الصرب بلا منازع فصاروا يحلمون بضم ذوي قرباهم قاطني البوسنة والهرسك وتكوين مملكة تمتد علي الساحل الأدرياتيكي.

ويأتي تصدي إمبراطورية النمسا لمطالع الصرب في إطار خوفها من انتشار عدوي القومية في أملاك ها، وبخاصة في إقليمي البوسنة والهرسك، وهذا العدوان من جانب النمسا دفاعاً عن كيانها حتى أنها ألصقت التهم بالصرب، فقط عندما تسم اغتيال ولي عهدها الأرشيدوق النمساوي فرانز فرديناند وزوجته عندما كانا في زيادة للعاصمة البوسنية سراجيفو علي يد اثنين من شباب صرب البوسنة علي أرجح الأقوال، ممن تشعبوا بدعوي القومية السلافية وذلك في يوم ٢٨ من يونيه ١٩١٤م وبمجرد أن علمت النمسا اتهمت الصرب بالتورط في الحادث، وسرعان ما وجهت إنذاراً شديد اللهجة إلى الحكومة الصربية وطلب الرد خلال ٤٨ ساعة من تاريخ تسليمهم للنمسا للمحاكمة، وحل الجمعيات

---

(١) قبائل طورانية مغيرة سكنت هذه الأرض وأخضعتهم الإمبراطورية الرومانية لحكمها، وظل الصراع قائما بين هذه القبائل والقبائل الصربية حتى أخضعهم العثمانيون في القرن الرابع عشر، إثر هزيمة السلطان با يزيد الأول على البلغار عام ١٣٩٣م

الصربية التي تتزعم الدعوة ضد النمسا، ولعل ذلك هو الهدف الأصلي، وأخيراً طلبت السماح للمحققين النمساويين البند الأخير وكان من الممكن أن تفوت الصرب الفرصة علي النمسا لو أنها قبلت الإنذار، غير أنها بدافع من روسيا رفضت التسليم بالإنذار، فأعلنت النمسا الحرب علي الصرب، تساندها في ذلك ألمانيا.

الفصل الثاني

الحرب العالمية الأولى

لم تكن الحرب هدفاً لأي من الأطراف المتصارعة، فلا فرنسا ولا روسيا ولا انجلترا كانت راغبة في حرب عشية اشتعالها، غير أن النمسا كانت متعطشة للحرب دفاعاً عن كيانها الأسرى، وراغبة في تأديب الصرب نظراً لنشاطها المتواصل في الدعوة إلى القومية السلافية، وذلك بالرغم من أن التحقيقات المبدئية لم تثبت تورط صربياً في حادثة الأرشيدوق النمساوي، والأمر لا يعني براءة الأطراف المصارعة براءة تأمة، حيث كانت لكل منهم أطماعه الخفية، فالنمسا ترمي إلى إذلال صربياً وانتزاع ميناء سالونيك من اليونان، وفرنسا ترنو إلى إعادة الإلزاس واللورين من ألمانيا، والأخيرة ترمي إلى توسيع مستعمراتها، بينما تهدف روسيا إلى الاستيلاء علي مضيقي البسفور والدردنيل وتتطلع صربياً بشكل جدي لضم البوسنة والهرسك، أما رومانيا فتطلع إلى امتلاك ترنسلفانيا من المجر وبسارابيا من روسيا وتهدف إيطاليا إلى ضم تريستا والترنتينو وكلها أهداف تتطلب قتالا مريراً لتحقيقها.

انجلترا
موسكو
روسيا القيصرية
برلين
النمسا والمجر
فرنسا
سويسرا
رومانيا
بلغاريا
البحر الأسود
أسبانيا
البرتغال
المتوسط
البحر
الدولة العثمانية
اليونان

خريطة أوربا عشية الحرب العالمية الأولى

إعلان الحرب:

وفي ٣٠ يولي ١٩١٤ أعلن ت النمسا الحرب علي الصرب، بتأييد من ألمانيا التي احتشدت جيوشها في جانبين احدهما علي الحدود البلجيكية في اتجاه فرنسا والثاني في اتجاه النمسا لمواجهة أي هجوم محتمل من جانب روسيا اتخذت الحرب شكل حملة تأديبية ضد الصرب، وقد حاول القيصر الروسي في الأمر، فأعلن التعبئة الجزئية، غير أن رئيس أركان الحرب الروسي كان متعطشاً للحرب فانتزع من القيصر (نيقولا الثاني) إذنا بالتعبئة العامة وبمجرد أن أعلن ت ألمانيا الحرب علي صربياً أعلن ت روسيا الحرب علي ألمانيا في الأول من أغسطس ١٩١٤م.

لم يستطع أحد أن يتنبأ بمدة الحرب أو حتى الهدف الدقيق منها، فألمانيا أعدت العدة لحرب ليست بالطويلة علي افتراض منها أن بلجيكا سوف تستلم لطلب اختراق أراضيها وأن الوصول إلى باريس لا يتطلب أكث من أسبوعين وبعدها تنضم كل الجيوش إلى الجبهة الشرقية وأن بريطانيا وإيطاليا ورومانيا ستقف علي الحياد فتتركز كل القوات في مواجهة الدب الروسي، وهي تقديرات أثبتت مجريات الأحداث خطأها، وذلك علي الرغم من قوة الألمان التي لا تضاهيها قوة أخرى آنذاك، فقد بلغت قواتها المدربة تدريباً كاملاً ٤,٣٠٠,٠٠٠ مقاتل، والمدربة تدريباً جزئياً مليون مقاتل ومدفعية متطورة بالإضافة إلى شبكة ممتازة من خطوط السكك الحديدية.

وفي ٣ أغسطس أعلن ت ألمانيا الحرب علي فرنسا وفق خطة الوصول إلى باريس في خلال أسبوعين عبر الأراضي البلجيكية وبالفعل احتشد جحافل الألمان علي حدود بلجيكا وطلبت ألمانيا من بلجيكا المساح لجيوشها بعبور أرضيها وعندما رفضت بلجيكا اضطرت القوات الألمانية إلى اختراق الأراضي البلجيكية، مكتسحة قواتها المتصدية والأمر تنحصر خطورته في أن هناك اتفاقية دولية باحترام

حياد بلجيكا، كانت قد وقعت عليها ألمانيا نفسها مع الدول الكبرى الأخرى فاضطرت انجلترا إلى التدخل حيث وجدت في انتهاك حياد بلجيكا والاعتداء علي الأراضي الفرنسية فرصة لإنهاء الخلافات الداخلية، وتوجيه قواتها ضد الجيوش الألمانية، فأعلن ت الحرب علي ألمانيا، احتلت القوات الألمانية بروكسيل في ٢٠ أغسطس بعد مقاومة ثم أطاحت القوات الألمانية بالجيوش الفرنسية والانجليزية حتى أصبحت علي بعد أيام قليلة من باريس حيث فرت الحكومة الفرنسية إلى بوردو.

حاولت القوات الروسية تخفيف الضغط عن باريس فسيرت جيشين حققاً في البداية نجاحاً ملحوظاً حيث اجتاحاً شرق ألمانيا في محاولة للوصول إلى برلين وقبل أن يحققا هدفهما تمكنت الجيوش الألمانية الخبيرة بطبيعة أراضيها من سحقهما في معركتي تاننبرج في أواخر أغسطس وعند البحيرات المسوية في منتصف سبتمبر ١٩١٤ وبالرغم من الكارثة التي لحقت بالقوات الروسية فقد حققت بعضاً من أهداف ها في تخفيف الحصار عن باريس حيث عادت بعض القوات الألمانية من فرنسا.

فشلت محاولات الألمان الأولى في دخول باريس، وإبان خريف وشتاء ١٩١٤ اشتعل الموقف الحربي حول القنال الفاصل بين انجلترا وفرنسا حيث يمثل هذا القنال خط الإمداد الأول للقوات الانجليزية في الأراضي الفرنسية والبلجيكية، ولم يفطن الألمان إلى هذه الأهمية إلا بعد أن تنبهت القوات الانجليزية بقيادة فرنش لتلك الأهمية فحصنت مينائي "بولون وكالية" وحصدت المعارك في هذا الميدان زهرة شباب الجيشين غير أن هذه المعارك لا تخفي حقيقة استيلاء الألمان علي كل مصادر الدخل في بلجيكا، التي لم يبق لها سوي قوة صغيرة بقيادة ملكها ألبرت ظلت تقاتل حتى نهاية الحرب بجوار القوات البريطانية، كما لا تخفي أيضاً حقيقة استيلاء الألمان علي المنطقة الشرقية لفرنسا والتي تضم معظم معادنها وبخاصة الفحم والحديد، ورغم فشل الألمان في الاستيلاء علي العاصمة الفرنسية أو الموانى المطلة علي القنال الانجليزي فقد كان ميزان القوة في صالح ألمانيا.

بات من المؤكد أن خطط الهجوم في الميدان الغربي من أوربا لن تجدي فظهر رأي بريطاني بإنفاذ إلى شرق أوربا ، حيث نجحت ألمانيا في جر الدولة العثمانية إلى ميدان الحرب الأمر الذي أربك روسيا وفتح عليها جبهة جديدة، وسد عليها المنفذ البحري الوحيد في المنطقة وكانت ألمانيا قد أرسلت طرادين إلى مياه البسفور وباعتهما صوريا إلى الدولة العثمانية، وما لبثت الطرادان أن ضربا ميناء أوديسا الروسي في ٢٨ أكتوبر ١٩١٤م فأقحم هذا الحادث الدولة العثمانية في الحرب إلى جانب ألمانيا.

وعلي الرغم من انقسام الرأي داخل بريطانيا حول الاشتراك في الميدان الشرقي، إلا أن حادث دخول الدولة العثمانية الحرب رجح الرأي القائل بضرورة إنفاذ حملة بريطانية إلى الميدان الشرقي من أوربا ، وقد عارضت فرنسا هذا الرأي علي اعتبار أن الميدان الفرنسي في حاجة إلى تدعيم كبير لتحرير أراضيها، كما عارضه بعض القادة البريطانيين بحجة أن في ذلك تشتيت لقوة بريطانية، غير أن الأمر استقر علي إنفاذ الحملة عقب دخول الدولة العثمانية الحرب، لاعتبارات كثيرة منها الحصول علي القمح من أقاليم الاتحاد السوفيتي الجنوبية ونجده الاتحاد السوفيتي وقطع الصلة بين الأستانة وبقية الجيش العثماني وإنهاء الوجود العثماني في الأراضي غير التركية.

أنقذت بريطانيا الحملة إلى مضيق الدردنيل، غير أن الأسطول البريطاني تعرض لكارثة عندما دخل في حقل ألغام خفي أمام المضيق في ١٨ مارس ١٩١٥م، غير أن بريطانيا لم تيأس فكررت المحاولة وعمدت إلى إنزال قواتها قبيل الدردنيل فتصدت لها القوات الألمانية والعثمانية واستمر القتال في معارك مفتوحة حتى أواخر ديسمبر ١٩١٥م، حينما قررت السلطات البريطانية انسحاب قواتها من منطقة الدردنيل، بعد أن فقدت السلطات البريطانية انسحاب قواتها من منطقة الدردنيل، بعد أن فقدت حوالي ١٢٠ ألف مقاتل من خيرة رجالها دون أن تحقق الحملة معظم أهداف ها، ورغم ذلك فقد نجحت الحملة في إنعاش روسيا التي صمدت أمام ضربات الألمان، كما نجحت في إشغال الجانب الأعظم من القوات العثمانية طوال عام ١٩١٥م.

وقفت إيطاليا موقف الحياد في بداية الحرب، غير أنها انحازت إلى الحفاء، فأعلن ت الحرب علي النمسا في ٢٤مايو ١٩١٥م، وكان الدافع الأول لها هو استعادة أقل يمي الترنتينو وتريستا بعد أن وعدها الوفاق باستعادتهما في اتفاقية لندن السرية المنعقدة قبل شهر فقط (٢٦ إبريل ١٩١٥) ففتحت جبهة جديدة للجيش النمساوي.

أما عن الموقف الحربي عام ١٩١٥م فقد كان في صالح الألمان رغم تعدد الجبهات، حيث نجحت الجيوش الألمانية في الغرب في أن تكبد الوفاق خسائر فادحة، وفي الشرق نجحت القوات الألمانية في السيطرة علي بولندا وغاليسيا ولتوانيا، وأحرجت القوات الروسية، وقد أثر هذا التفوق الألماني، فنجحت دول الوسط في اجتذاب بلغاريا إلى صفوفهم فأعلن ت الحرب علي صربيا في ١٤ أكتوبر ١٩١٥، وفي البلقان شهدت ساحات القتال تفوقاً ألمانيا ملحوظاً في مواجهة الصرب والايطاليين، وقد أدى هذا التفوق الألماني إلى إجراء تعديلات في صفوف الوفاق ففي روسيا تم إقصاء رئيس أركان حربها وتعيين الكسييف محله، وتولي القيصر قيادة الجيوش بنفسه، وعلي الجانب البريطاني تم تشكيل وزارة ائتلافية بقيادة اسكويث وتغيرت القيادة البريطانية في الجبهة الغربية فحل هايج محل فرنش.

شهد عام ١٩١٦ نشاطاً ملحوظاً لصالح الوفاق حيث استخدمت الدبابات المجنزرة البريطانية لأول مرة في الجبهة الغربية، فحققت القوات البريطانية نجاحاً في معركتي الفردان والسوم رغم أن بريطانيا فقدت ستين ألف بين قتيل وجريح في اليوم الأول من معركة السوم وقد نجحت جيوش روسيا في إيقاف الزحف الألماني وكبدته خسائر بشرية فادحة الأمر الذي شجع رومانيا علي إعلان الحرب علي دول الوسط في ٢٧ أغسطس ١٩١٦م غير أن قوات الألمان في البلقان نجحت في دخول العاصمة بوخارست في ديسمبر، فلم يقدر للحلفاء أن يتسفيدوا طويلاً من غلال وبترول رومانيا، حيث سيطرت عليها القوات الألمانية، ولاشك أن رومانيا كانت غنية اقتصادية لها قيمتها في ظل الحصار البحري الذي فرضه الوفاق علي دولتي الوسط.

لم يتوقف الصراع علي البر ولكن شهدت البحار والمحيطات حروباً لا تقل في ضراوتها عن حروب البر وقد تسيد البحار أسطول بريطانيا بهدف فرض حصار بحي علي دول الوسط وقطع الصلة بين ألمانيا ومستعمراتها غير أن الغواصات الألمانية نشطت في الفترة الأخيرة، فكبدت الأسطول التجاري البريطاني خسائر كبيرة وباتت السفن التجارية تسير في حراسة حربية ومع ذلك تتعرض للضرب بالغواصات من تحت الماء.

دخول الولايات المتحدة الحرب:

بلغت حرب الغواصات مداها مع بداية عام ١٩١٧ حينما اشتدت وطأة الحصار البحري للحلفاء علي دول الوسط، فاتخذ قادة الوسط قراراً بشن حرب غواصات عامة في البحار، وهي حرب مطلقة من كل قيد، وذلك في أول فبراير ١٩١٧م والقرار يعني ضرب كل الأهداف التجارية في عرض البحر، ولم تسلم الأهداف الأمريكية أو تستثني من هذا القرار، الأمر الذي أغضب حكومة واشنطن فلعبت عليه الحكومة البريطانية لإقحام الولايات المتحدة في الحرب. وكان من المفترض أن تفرض حرب الغواصات حصاراً بحرياً قاسياً علي بريطانيا، يجعلها تسلم قبل دخول الولايات المتحدة في الحرب، غير أن بريطانيا تمكنت بمعاونة مجموعة من العلماء اليهود من التوصل إلى مخترعات جديدة أفسدت حرب الغواصات، الأمر الذي أمهل الحكومة البريطانية فرصة حتى أقنعت حكومة واشنطن بدخول الحرب.

جاء السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الوفاق في وشاية من حكومة لندن بأن هناك محاولات ألمانية لإقناع المكسيك بشن حرب علي الولايات المتحدة مع وعدها بثلاث ولايات تقع شمالي المكسيك وهي تكساس وأريزونا والمكسيك الجديدة أما قرار دخول واشنطن الحر فقد جاء في (٦ إبريل ١٩١٧) بعد دراسة متأنية من حكومة واشنطن وفي الوقت المناسب، حيث كانت قوة دولتي الوسط قد خارت تماماً ولم تعد قوتهما تسمح لهما بالرد علي الولايات المتحدة، ومما لاشك فيه أن قرار واشنطن جاء ملبياً لرغبة كثير من الأمريكان الذين تربطهم صلة ما بوطنهم الأصلي انجلترا، وكان دخول الولايات

المتحدة الحرب الأثر الفعال في حسم النتيجة لصالح الوفاق، بعد أن كان النصر قاب قوسين أو ادني من ألمانيا، ففي إبريل ١٩١٧ لم يكن لدي بريطانيا من القمح ما يكفيها لأكثر من شهر ونصف.

كما كان لليهود المسيطرين علي أسواق المال في نيويورك دور في دخول الولايات المتحدة بضغوط من يهود بريطانيا وقد جني الجميع ثمرة جهدهم في وعد بريطانيا لهم بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، حسبما ورد في وعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٧).

الثورة الروسية وأثرها في الحرب:

لم يحتمل الروس ويلات الحرب حتى نهايتها، حيث أدى الجوع والفقر وملايين القتلى والجرحى إلى انتشار ضيق روسي عام علي القيصر وبخاصة بعد انتشار شائعات عن علاقة القس الفاجر راسبوتين بزوجه القيصر أدى هذيا الخلق إلى غضب عام وثورة شاملة غير منظمة أرغمت القيصر علي النزول عن عرشه في ١٥ مارس ١٩١٧م وشكلت حكومة مؤقتة برياسة الأمير لفوف Lvov ضمت أغلبية الحزب الديمقراطي الدستوري، غير أن الحكومة الجديدة باستمرارها في الحرب لم تحقق رغبات الثوار فاستمرت هزائم الجيوش الروسية، انهارت الجبهة الداخلية تحت وطأة الإضرابات وعمليات التمرد والعصيان التي شلت يد الحكومة.

وفي غمار الثورة العامة تمكن الباشفة بقيادة لنين Lenin وترتسكي Trotsky استطاع البلاشفة أن يسيطروا علي مقاليد الأمور بإعلان أهداف هم العامة وتتلخص في توفير الطعام للجميع وإبرام صلح عاجل يخلص البلاد من ويلات الحروب وتوزيع الأراضي علي الفلاحين، إقامة دكتاتورية عمالية وقد جاء أرضاء للعاملة علي حساب الطبقات الغني والوسطي، كما جاءت معاهدة برست ليتوفسك Brest-Litovsk في ٣ مارس ١٩١٨ علي حساب الأهداف القومية لتونيا واستونيا ولاتفيا وبولندا الروسية وفنلندا ولاشك أن انتهاء الحرب في الجبهة الشرقية قد سد ثغرة عن الألمان، الذين سحبوا قواتهم للاستفادة منها في الجانب الغربي.

الحقبة الأخيرة من الحرب أواخر ١٩١٧ / ١٩١٨م.

شهدت مسارح القتال في أوربا أواخر عام ١٩١٧ معارك عنيفة بعد فش حرب الغواصات علي الصعيد الفرنسي وشمال إيطاليا، غير أنها كانت كلها رغم ضراوتها في صالح الألمان، في حين شهد مسرح الأحداث في المشرق العربي ثورة عامة قادها الشريف حسين بن علي شريف مكة لصالح بريطانيا التي تمكنت من آخراج الأتراك من بغداد، الأمر الذي رفع مكانه بريطانيا عند العرب حيث وعدتهم إبان الحرب بالاستقلال غير أنها لم تزد عن كونها وعود حربية لم ترق إلى مرتبة وعودها لليهود.

وشهد عام ١٩١٨ نهاية الحروب المريرة، بدأت هذه النهاية عندما قرر لودندورف قائد القوات الألمانية سحب أربعة فرق من الجبهة الشرقية بعد انتهاء الجبهة الروسية، لاستخدامها في هجوم شامل علي الوفاق في فرنسا، وضع لودندورف خطة الهجوم بالفعل الحق بالوفاق هزيمتين في بيرس وشمينن دي دام Chemins des Dame في إبريل ومايو غير أن الهزيمتين لم تحققا الهدف الألماني بالقضاء علي الوفاق هناك، فكل نجاح الألمان انحصر في كسب عدة كيلومترات من الأرض.

أدى فشل الألمان الأخير إلى انهيار الروح المعنوية لدي الجيش الألماني كما بدأت الثورة تدب في أرجاء ألمانيا وخلال شهري أغسطس وسبتمبر حققت قوات الوفاق نجاحاً كبيراً علي قوات لودندورف، وكثر عدد الأسرى فوصل في معركة واحدة إلى ٢٤ ألفا فأدرك هايج قائد قوات الوفاق انهيار جبهة الأعداء وعلي الجانب الأخرى طلب لودندورف من حكومته سرعة التوصل إلى صلح مع الوفاق، وأخذ ت انتصارات الوفاق طريقها علي مختلفة الجبهات، ما لبثت بلغاريا أن طلبت الصلح ولحقت بها تركيا ثم النمسا وظلت ألمانيا وحدها تقاتل الوفاق في صلابة وعناد.

اشتعلت الثورة في ألمانيا فاضطر الإمبراطور وولي العهد إلى الفرار إلى هولندا في التاسع من نوفمبر ١٩١٨ وتولي الاشتراكيون

مقاليد الحكم فأعلن الجمهورية وقبلوا شروط الصلح المجحفة متمثلة في التنازل عن الأراضي التي فتحها الألمان، وتسليم الصلح المجحفة متمثلة في التنازل عن الأراضي التي فتحها الألمان، وتسليم الطائرات والمدافع والعتاد وجزء كبير من الأسطول، وتوقف إطلاق النار في الحادي عشر من نوفمبر، ولم يكن أمام الحكومة الألمانية الجديدة سوي التسليم بهذه الشروط وفي الشرق الأقصى أوقفت اليابان الحرب بقرار منها مثلما كان دخولها الحرب بقرار منها أيضاً فقد جاء انضمام اليابان إلى جانب الوفاق دون أن تستدعي الضرورة، وذلك لتحقيق مكاسب أرضية لها علي حساب مستعمرات ألمانيا.

سمات الحرب ونتائجها:

لعل أهم سمات الحرب أنها أول حرب عالمية شاملة علي درجة عالية من التنظيم، كما أنها أول حرب تسخر لها كل ما أثمرته الثورة الصناعية خلال ق ١٩ وكل الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية فجاءت علي حساب رفاهية الشعوب ولم تقتصر الحرب علي ميادين القتال، بل شارك فيها المدنيون بقدر كبير، فهي أول حرب شمولية في تمويلها البشري فاعتمدت علي العنصر البشري بشكل أساسي، حيث كان وقود المعركة الأول، فراح ضحيتها ملايين من البشر، وكان المدينون والسفن التجارية أهداف اً مشروعة، لذا جاءت الحرب ذات تأثير مدمر، وعلي الرغم من استخدام سلاح الطيران في نهاية الحرب وبشكل بسيط فأن قنابل الطائرات لم تفرق بين الأهداف العسكرية والمدنية.

ومن أهم سمات الحرب العالمية الأولى أن الدول المتصارعة استخدمت الدعاية للحرب بشكل لم يسبق له مثيل سواء في تعبئه الجيوش أو حثهم علي القتال دفاعاً عن الأرض والعرض أو في تثبيط همم الأعداء عن طريق إلقاء المنشورات المضادة عليهم من الطائرات، تحمل التهديد والوعيد والتشكيك في صدق نوايا زعمائهم، أو تحريك الروح القومية الانفصالية في الدول الإمبراطورية الكبرى التي تضم قوميات متعددة، فلعب سلاح الدعاية والإعلام دوراً حيوياً في هذه الحرب ولم تقتصر الحرب علي الدول المشاركة فيها فقد أرغمت المستعمرات علي المشاركة في الحرب سواء بتقديم الغلال والحبوب أو

بتقديم الجنود أو وضع أراضيها وموانيها في خدمة الدول الاستعمارية، علي أمل الحصول علي الاستقلال عقب الحرب حسبما وعدت الدول الاستعمارية.

ومن سمات هذه الحرب أنه لم يكن هناك خط أيديولوجي واضح فاصل بين المتحاربين فالدول الديمقراطية البرلمانية (الوفاق) ضمت بين صفوفها القيصرية الروسية العتيقة والدول الإمبراطورية (دول الوسط) ضمت بين صفوفها قوميات جديدة صغيرة مثل بلغاريا.

وتميزت هذه الحرب بأن أسبابها اتصلت بخيوط بعيدة نسجتها مواقف الدول الكبرى قبيل الحرب، حيث فرضت ظاهرة الأحلاف بصماتها علي التقسيم الدولي، ومن أهم مميزات هذه الحرب أنها بالرغم من قصر مدتها (خمس سنوات) إذا ما قورنت بحرب السنوات السبع أو حرب المائة عام أو الحروب الدينية فقد كانت أكثر تركيزاً وأكبر تدميراً فابتلعت كل ما قدم إليها من موارد اقتصادية وبشرية، وإذا كانت كل الحروب السابقة قد انتهت كما بدأت بتسوية محلية فأن هذه الحرب اختلف أسبابها عن نتائجها وانتهت بتسوية عالمية.

ولعل أهم نتائج الحرب العالمية الأولى تلك التي شهدها ميدان شرق ووسط أوربا حيث اندثرت الدول الإمبراطورية الكبرى (النمسا وروسيا والدولة العثمانية) وظهرت علي أنقاضها دول قومية عديدة، منها يوجوسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ولتوانيا ولاتفيا واستونيا وبولونيا، وانكمشت تركيا إلى حدودها الحالية وقامت الجمهورية السوفيتية الشيوعية الجديدة علي أنقاض معظم أراضي الإمبراطورية الروسية.

وفي الغرب الأوربي لم تحدث تطورات سياسية غير محاولة ألمانيا في الاتجاه نحو النظام الليبرالي وتأخر هذه المحاولة أربعة عشر عاما عندما سيطر الحزب النازي علي مقاليد الأمور، بينما كانت إيطاليا قد عرفت تجربة الحكم الفاشي منذ عام ١٩٢٢ التي وصلت إلى الحكم بتكليف من الملكية الايطالية علي أمل دعم حكمها وتقوية الوحدة وتحقيق أطماعها التوسعية أما باقي أوربا الغربية فقد اقتصرت

التغيرات فيها علي التطورات الاقتصادية والاجتماعية، حيث التهمت الحرب كل الموارد الاقتصادية.

وفي المشرق العربي انسلخت القوميات العربية عن الدولة العثمانية، ولكنها لم تنته إلى مصير مماثل للقوميات الأوربية وإنما تم ربطها بالإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية في ظل نظام الانتداب.

أما بالنسبة لميزان القوي الدولية فقد انتقل لصالح الولايات المتحدة واليابان التي لم تنهك الحرب قواها، وذلك بعد أن كانت السيادة في أوربا لبريطانيا وفرنسا وألمانيا حيث بلغت استثمارات الدول الثلاث في العالم قبيل الحرب ٦٣% من جملة الاستثمارات العالمية، كما كانت القوي الثلاث تمتلك اقوي الجيوش الأساطيل في العالم وكانت لبريطانيا وحدها اليد العليا في تسوية المسائل الدولية، وكانت لندن وباريس وبرلين هي مراكز العلم والثقافة في العالم ثم خرجت أوربا من الحرب منهكة القوي بعد أن فقدت زهرة شبابها (حوالي أربعة ملايين قتيل) وخلفت لها الحرب عدداً من الجراحي والعجزة بما لا يقل عن هذا العدد، كما انتشرت فيها الأمراض مثل الكوليرا والتيفود، وأن كانت هذه الصورة قد تجلت في الدول المنهزمة واضحة جلية، فأن الانتصار الذي أهداه القدر للدول المنتصرة لم يستطيع أن يخفي هذه الصورة القاتمة.

أما بالنسبة لمعاهدات الصلح في باريس ١٩١٩ فقد شارك فهيا وفود كثيرة برئاسة الرئيس الأمريكي ولسن ورئيس الوزراء الانجليزي لويد جورج والفرنسي كلمنصو، لم تشفع مبادئ ولسن المثالية لألمانيا المستسلمة، حيث أملى عليها الوفاق شروط الصلح، فقبلتها صاغرة كما فعلت هي من قبل مع روسيا في برست ليتوفسك ومع رومانيا في معاهدة بوخارست مايو ١٩١٨ م، فدائماً مثل هذه المعاهدات تكون قاسية علي المستسلم، وقد اتفق الجميع علي مبدأ تقرير المصير والقضاء علي الروح العسكرية الألمانية التي تسببت في نشوب الحرب.

عملت معاهدات الصلح علي أجنحة ألمانيا والنمسا فمنعت التجنيد الإجبار ي وحددت الجيش وألزمت ألمانيا بغرامة مالية تدفعها للحلفاء، وعملت علي تفتيت إمبراطورية النمسا، فاقتطعت منها البوسنة والهرسك

وكرواتيا لصالح يوجوسلافيا وفصلت النمسا عن المجر واقتطعت أجزاء كبيرة لصال رومانيا، واستقل التشيك والسلوفاك في جمهورية تشيكوسلوفاكيا، كما اقتطعت أجزاء أخرى لصالح فرنسا (الإلزاس واللورين) أما أقل يم السار فيخضع لفرنسا لمدة ١٥ سنة ثم يجري عليه استفتاء، كما استقلت لتوانيها ولاتفيا واستونيا وفنلندا عن الاتحاد السوفيتي وحصلت إيطاليا علي الترنتيتو وتريسنا.

وأهم ما أسفرت عنه اتفاقيات الصلح هو ميثاق عصبته الاسم لحل المشكلات التي تهدد السلام والأمن الدوليين والغريب أن الولايات المتحدة صاحبة الفكرة لم تنضم لعصبة الأمم، وقد يعزى ذلك الأمر إلى الخلاف الواقع بين الرئيس الأمريكي ولسن بديمقراطيته ومثالياته والحزب الجمهوري المعارض صاحب الأغلبية في مجلس الشيوخ، وصاحب القرار الحقيقي هي الولايات المتحدة الأمريكية

الفصل الثالث

أوربا بين الحربين العالميتين

شـهد العقـدين التـاليين للحـرب العظمـي تطـورات اقتصـادية واجتماعيـة خطيـرة نجمـت عـن ظـروف الحـرب العالميـة وانتشـار الفقـر والمجاعـات التـي خلفتهمـا الحـرب، وقـد انخفـض إيمـان العامـة بمقـدرة الحكومـات علـي تـوفير حيـاة كريمـة لهـم، كمـا ظهـرت نظـم اجتماعيـة جديدة تمثلت في النظم الشيوعية، وأن كانت الثورة في مرحلتها الداخلية ولـم تصـل إلـى مرحلـة التصـدير، إلا أن الأفكـار الشـيوعية والاشـتراكية العمالية كانت تسري في أوربا في ظل الفقر والجوع كالنار في الهشيم، غيـر أن الـدول الجديـدة فـي أوربـا حاولـت التقليـل مـن فرصـة إنبـات الشـيوعية أو انتقـال عـدواها مـن الاتحـاد السـوفيتي وذلـك بسـن قـوانين زراعيـة جديـدة تقضـي بتقسـيم الملكيـات الزراعيـة الكبرى وتوزيعهـا علـي الفلاحين بشروط ميسرة.

كمـا كانـت بيئـة الفقـر الجـوع والمـرض أرضـاً خصـبة لإثبـات واحتضـان دكتاتوريـات جديـدة، علـي أمـل أن يجـد فيهـا العامـة أداة للوصـول إلـى حيـاة كريمـة، وتجـدر الإشـارة هنـا إلـى أن الفقـر والجـوع والمرض في أوربا لم يكونا نتاج الجهل أو التخلف وإنما نتاج الحرب العظمي التي أتت علي الأخضر واليابس، وفي ظل النظم الرأسمالي ة واجـه العـالم وليس أوربـا فقط فـي سنوات مـا بعد الحـرب ظـاهرة الفقـر الشـديد والحرمـان رغـم تـوفير الخبـرات لـدي طبقـات معينـة، ففـي الوقـت الـذي عـاش فيـه ملايـين البشـر خـاوي البطـون عـاري الأبـدان كانـت الطبقات الرأسمالي ة الكبرى تدمر المحاصيل لزيادة أثمانها، إلى الدرجة التي فقدت الشعوب إيمانها بالديمقراطيات وظهر الإيمان بمبدأ الاقتصاد المنظم الذي يضمن حياة كريمة للجميع.

وتعالوا بنا نقلب صفحات أوربا بين الحربين:

١- عصبة الأمم :

تعد عصبة الأمم أهم ما أسفرت عنه معاهدات الصلح في باريس، وتأتي هذه الأهمية من القرار الجماعي بإنشاء منظمة دولية لأول مرة، وليس من قوة المنظمة ذاتها فبقدر ما عاناه العالم من ويلات الحرب العالمية الأولى بقدر اندفاع المؤتمرون في باريس لإيجاد أداة ولية تمنع وقوع مثل هذه الحروب مرة أخرى، ومثلما كانت الحرب عالمية كان التفكير في إنشاء منظمة عالمية أيضاً، فدائماً لكل فعل رد فعل مساوي له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، فالتدمير الذي جاءت به الحرب العظمي ولدت لدي الجميع البحث عن أداة لحفظ الأمن والسلام في العالم.

اتجه التفكير الفرنسي بداية إلى إنشاء هيئة دولية مسلحة تمولها جميع الدول تمثل هيئة ردع لكل من تسول له نفسه تفويض دعائم السلام والأمن الدوليين، وكان طبيعياً أن تخرج ألفكرة في أقوي صورة من أكثر مناطق العالم معناه من الحرب حيث بدأت الحرب وانتهت علي أرضها، فكانت مسرحاً دائماً للعمليات طول سني الحرب، غير أن الحكومات الأخرى رفضت تنفيذ ألفكرة علي اعتبار أنها تخلق حكومة قوية تلغي إرادة الحكومات القومية، فرفضوا قبول أي لون من ألوان الإكراه المنظم أو المكتوب يجبر أي دولة من أعضاء العصبة علي الانصياع لأوامره.

اتفقت الآراء في النهاية علي أن تتكون العصبة من ثلاث هيئات هي الجمعية العمومية ومجلس العصبة وسكرتارية العصبة، فالجمعية العمومية تتكون من ممثلي جميع الدول الأعضاء في العصبة وللدول أن تمثل بأكثر من عضو، لكنها ليست لها سوي صوت واحد، وتقبل الجمعية عضوية الدول المستقلة ذات السيادة الكامل والرغبة في حفظ وصون السلام العالمي، ويشترط لقبول دولة ما من غير الدول الموقعة علي ميثاق العصبة موافقة الدول المشتركة إذا رأت أنها جادة في الحفاظ علي السلام تجتمع الجمعية العمومية مرة كل عام في الحالات العادية في جنيف لمدة شهر، لمناقشة جدول الأعمال الذي تعده السكرتارية وتأخذ الجمعية قرارها بالإجماع والقضية الأخيرة هي الصخرة التي تحطمت عليها قدرة العصبة علي مواجهة المشكلات

الدولية فليس هناك قضية يحدث بشأنها إجماع وبخاصة إذا كانت تتعلق بالسلام والأمن الدوليين.

أما مجلس العصبة فكان يتكون من تسعة أعضاء زاد عددهم إثنا عشر عضواً منهم خمسة أعضاء دائمين يمثلون الدول الكبرى، فيعقد المجلس أكثر من مرة كل عام لبحث كل ما يعن له من مشكلات ومسائل دولية، كما ينعقد كلما دعت الضرورة، وله أن يدعو الجمعية العمومية للانعقاد في دورة غير عادية لمناقشة المشكلات التي تهدد السلام.

وتختص سكرتارية العصبة بإعداد الموضوعات التي تعرض علي المجلس والجمعية لاتخاذ قرارات بشأنها وهي هيئة من الموظفين المدنيين متعددة والجنسيات وهي موجودة بصفة دائمة في مقر عصبة الأمم بجنيف.

وتضمن الميثاق تعهداً من الدول الأعضاء بالإقلاع عن الحرب وحل المشكلات سلمياً عن طريق العصبة كما تضمن الميثاق تعهداً بالتعاون الدولي في كافة المجالات مثل الحفاظ علي مستوي معيشة العمال ووقاية الصحة ومناهضة الرقيق الأبيض بين النساء والأطفال (الأبيض فقط؟!!) وتنظيم تجارة الرقيق، تنظيمها لا تحريمها (؟!!!) كما اقر عهد العصبة مبدأ وصاية الدول الكبرى علي الدول التي كانت خاضعة للاستعمال قبل الحرب، وتلك الدول غير القادرة علي تحمل المسئولية، وتعهدت الدول الكبرى القائمة بالوصاية بتقديم تقدير دوري عن مختلف الأوضاع في الدولة الواقعة تحت الوصاية، ومدي التقدم الذي تحقق وتناقش التقارير أمام لجنة تابعة للعصبة.

اجتمعت الجمعية الأولى للعصبة في سبتمبر ١٩٢٠م بحضور الأعضاء المنضمون وعددهم أربع وأربعين دولة واتخذت العصبة موقفاً من الدول المهزومة (ألمانيا والنمسا وتركيا) فاعتبرتها دولا لم تصل إلى حد النضوج الكافي للانضمام للعصبة ووقفت روسيا في ثوبها الجديد (الشيوعية) بعيداً عن العصبة ولم تنضم لها إلا في عام ١٩٣٤م وكانت الضربة القاضية التي تلقتها العصبة هي عدم مشاركة

الولايات المتحدة، وهي دولة رسول السلام في هذه الحرب وصاحب المبادئ الأربعة عشر الشهرية والتي علقت عليها الدول آمالا عريضة في حفظ السلام ومساندة عصبة الأمم في تنفيذ القرارات التي تتخذها لمعاقبة الدول المعتدية غير أن مجلس الشيوخ الذي يسيطر عليه الحزب الجمهوري المعارض قرر تبني سياسة مخالف ة لتلك التي انتهجها الرئيس الأمريكي ولسون.

وكانت المشكلة المستعصية التي واجهت العصبة منذ إنشائها هي مشكلة التسليح ويرجع فشل العصبة في مواجهة قضية التسليح إلى عدم توفر الرغبة الصادقة لدي الدول الكبرى لحل هذه المشكلة، فبخلاف بريطانيا التي جسرت علي خفض تسليحها البري لم تقم أية دولة أوربية أخرى بخطوة ايجابية في هذا المجال فألمانيا تطالب الأمم المتحدة بأن تعاملها في مساه التسلح بالمثل مع جيرانها ، وفي الوقت نفسه كانت فرنسا علي الجانب الآخر تخشي من تسلح ألمانيا حتى لا تجنح إلى الحرب مرة أخرى وما لبثت العصبة أن واجهت تحديات خطيرة أطاحت بها وبالسلام في النصف الثاني من العقد الرابع للقرن العشرين.

٢- الشيوعية في روسيا:

نبدأ الحديث بروسيا التي توفرت فيها الأرض الخصبة للمبادئ الثورية فكانت من أول الدول التي عانت من الحرب، حيث كانت الحكومة القيصرية من اضعف الحكومات وهي من أكثر الدول التي ذاقت ويلات الحروب، فوجدت فيها مبادئ الشيوعية أرضاً خصبة.

والشيوعية استمدها لنين من كتابات ماركس التي تتحدي الملكية الخاصة والإيمان بالله ونظام الطبقات الرأسمالي وما يترتب علي كل ذلك من أفكار أدبية وفلسفية وفنية، فاعتبر لينين نفسه نبي الشيوعية واعتبر كتابات كارل ماركس كتابة المقدس فنبذ الدين واعتبره مخدراً للشعوب، ونبذ الكنائس والمساجد واتخذ من الحزب الشيوعي معبداً، وإذا كانت البيئة الروسية في ظروف الحرب العظمي كانت بيئة خصبة لنمو مثل هذه الأفكار فأن لنين كان مفعماً بالحيوية والذكاء والنشاط

فاستعاض بحيويته ونشاطه وفصاحة لسانه عن الأموال فقد كان فقيراً عاش معظم حياته في سجون سيبريا وإحياء لندن ألفقيرة فعزم علي تصفية الطبقة البرجوازية وتشييد صرح دكتاتورية العمال ويذهب البعض إلى أن المخابرات الألمانية قد اختارته بعناية حينما كان يعيش في سويسرا عام ١٩١٧م كي يثبط الروح المعنوية للجيش الروسي، وقد أهلته قدراته ألفائقة أن يلعب الدور المرسوم له بعناية فائقة فأصبح بعد أقل من عام الرجل الأول في روسيا، كان لنين سياسياً رشيداً يبدو إنسانيا إلى درجة رفيعة إلا أنه كان خالياً من المبادئ الخلقية والنواحي الأدبية، رأي لنين في المجاعات والحروب أصدقاء، تمهد له الطريق لنشر رسالته.

عاش لنين ورفاقه حياة زهد وتقشف، فتقاضوا مرتبات عادية، وبالرغم من التنظيم الدقيق داخل الحزب الشيوعي والشرطة السرية والجيش الأحمر ووسائل ترهيب الخارجين، فقد كانت فتره حكمه خالية من الرشوة والفساد، وحاز لنين بين الشعب مكانه تقرب مكانه الآلهة في حياته وبعد مماته، فيحج إليه الكثيرون في الميدان الأحمر حيث يرقد جثمانه وذلك بالرغم من قسوته في تطبيق نظامه ولنين لم يقبل الشيوعية مطلقة بل عدل فيها بعض الشيء فقبل مبدأ حرية التجارة وعقد اتفاقيات تجارية مع الدول الكبرى عام ١٩٢١، وأدرك أهمية رؤوس الأموال الأجنبية في دعم الصناعات الروسية فسمح لها بالتدفق إلى البلاد.

واجه البلاشفة في روسيا في بداية حكمهم ثورة أهلية عارمة في مختلف أنحاء البلاد، تمت الثورة بتدبير من الوفاق للقضاء علي البلاشفة واستمرار روسيا في الحرب، ضمان ا لفتح جبهتها أمام ألمانيا، غير أن البلاشفة تمكنوا من القضاء علي الثورة وقد ساعدت الثورة علي تثبيت أقدام لنين وإتباع هـ في روسيا وبالرغم من انتهاج لنين لمبدأ محلية الثورة علي الأقل في المراحل الأولى، فقد تتايرت الثورة إلى سائر الأقطار الأوربية، وبخاصة الأقطار المستقلة حديثاً في شرق ووسط أوربا ، وقد حمل العمال لواء الثورة في هذه الأقطار، غير أن الحكومات المعنية تمكنت من إخمادها في فنلندا ورومانيا وبولندا.

والحقيقة أن مسألة التنظيم الاقتصادي الشيوعي ليست سهلة، فعلي القائمين علي الأمر تحقيق موازنة بين الإنتاج ومطالب السكان واحتياجاتهم ويزيد من صعوبة هذا الأمر في التجربة السوفيتية الاتساع الكبير جداً للأراضي الروسية وقد صاحب هذا النمط الاقتصادي الجديد نمطاً اجتماعياً جديداً حمل بين طياته الشفاء لطبقة الأغنياء والطبقة البرجوازية التي كانت تعيش في رغد من العيش، وكان طبيعياً أن تعارض هذه الطبقات، النظام الجديد، غير أن حكام السوفييت الجدد واجهوا هذه المعارضة بكل قسوة وعنف والأمر ليس بجديد علي روسيا فقد اعتاد حكامها علي هذه القسوة منذ القدم.

يعتمد النظام السوفيتي علي حزب سياسي هو الحزب الشيوعي الذي يتكون من عدد كبير يصل إلى ثلاثة ملايين بين رجال ونساء، يصلون بالاقتراع وفقاً لمؤهلات ثقافية ومعتقدات سياسية شيوعية ويتم تصفية وتنقية هؤلاء الأعضاء بصفة دورية ويتميز أعضاء الحزب بالزهد والطاعة، ويتكون الحزب من لجأن مختلفة مهمتها الأولى السيطرة علي معتقدات الشعب الروسي وتنقيتها من كل ما يخالف الشيوعية والحزب هو السلم الطبيعي لأن طموح يصل من خلاله إلى اعلي المناصب في الدولة.

نجحت الشيوعية في الأخذ بأيد روسيا المتخلفة فجعلت العمل إجبار ياً فلم يعد هناك بطالة، ومع أنه ثبت ضرورة تمييز مهرة العمال بأجور خاصة إلا أن هذا التميز لم يؤثر في المساواة الاجتماعية التي تمتعت بها طبقة العمال، كما أصبح التعليم عاما وأبدت الدولة اهتماماً بالصحة العامة والرياضة، كما أقمت الحكومة مدن جديدة وأدخلت صناعات جديدة، فأدخلت نظم الصناعة الأمريكية المعقدة واستثنت منه وازع الكسب الشخصي.

٣- بريطانيا العظمي:

تأثرت الدول العظمي – وعلي رأسها بريطانيا بالطبع – بنتائج الحرب العظمي فرغم أنها خرجت ظافرة إلا أنها فقدت خيرة شبابها وخرجت من الحرب متخمة بالمشاكل فعلي المستوي الداخلي زاد عدد

سكانها أو زادت الأفواه المطلوب إطعامها أن صح التعبير، نتيجة زيادة نسبة العجزة عقب الحرب وقله الهجرة إلى الخارج والزيادة الطبيعية في السكان أضف إلى ذلك انخفاض رؤوس الأموال طائلة فاضطرت الوزارة إلى زيادة الضرائب وقد تحمل الشعب هذه الزيادة دون شكوى ويرجع ذلك إلى اعتدال نظم الحكم في بريطانيا فالأسرة المالكة تشاطر الشعب معاناته فاختفت مظاهر الرفاهية والبذخ، وتميزت الحكومة بالاعتدال في سياساتها ومن ثم تحمل الشعب الضرائب التي أثقلت كاهله في صبر وأناة.

أدت الأزمة المالية إلى التفكير في إلغاء مبدأ حرية التجارة التي أقرته بريطانيا منذ عام ١٨٤٦م، في محاولة للحصول علي موارد جمركية لدعم الميزانية، فقرر مستر رمس مكدونالد رئيس الوزراء نبذ مبدأ حرية التجارة الذي يقضي بعدم فرض رسوم جمركية علي الواردات.

وعلي المستوي الخارجي شهد عقد العشرينات كساداً تجارية عالمياً، فأخذ ت الدول تحيط نفسها بسياج جمركي لحماية صناعاتها الناشئة، وبدأت سياسة الاكتفاء الذاتي، نظراً لعدم توفر السيولة اللازمة للاستيراد، وقد حاولت الحكومة البريطانية التغلب علي هذه الأزمة بالاتفاق مع مستعمرات التاج البريطاني ومستعمرات الدومنيون وهذا نوع من الاكتفاء الذاتي الاقتصادي والسياسي، فعقدت مؤتمراً لرؤساء وزارات الإمبراطورية في أتاوا عام ١٩٣٢ غير أن المؤتمر فشل في إقناع مستعمرات الدومنيون بمبدأ حرية التجارة داخل نطاق الإمبراطورية، ذلك أن كل دولة كانت قد فرضت نوع من السياج الجمركي لحماية منتجاتها الصناعية الصغيرة، ففشل المشروع البريطاني.

وقد زاد من أعباء الحكومة البريطانية المالية في عقدي العشرينيات والثلاثينيات التزاماتها الداخلية والخارجية، فعلي المستوي الداخلي كانت الحكومة ملتزمة ببرنامج للخدمات الاجتماعية يتطلب نفقات تزيد عن مثيلتها في أي دولة أوربية أخرى إضافة إلى برنامجها في الصحة والتعليم وتوفير المسكن المناسب للأفراد، رغم ما تعانيه

البلاد من حالة البطالة والكساد وعلي المستوي الخارجي كان علي بريطانيا أن تتحمل نتاج سياستها في أوربا ، فهي راعية السلام في القارة الأوربية، صحيح أنها لم تكن محبوبة إلى درجة كبيرة من كثير من الأمم ، كلنها لم تكون مبغوضة من الألمان مثل بعضهم للفرنسيين ولم تكن مبغوضة من الفرنسيين بدرجة بغضهم للألمان، فأصبحت بريطانيا ملزمة بأن تسام في رخاء ممالك أوربا واستقرار السلام في ربوعها.

وقد أدت كل هذه الظروف مجتمعة إلى أزمة اقتصادية بريطانية أثرت تأثيراً سلبيا علي الجنيه الإسترليني، وظلت الحكومة البريطانية تتحمل عجز الميزانية، والتضخم عاما بعد عام إلى أن اضطرت إلى خفض قيمة الجنيه الإسترليني إلى نصف قيمته عام ١٩٢٥ وقد بلغت الأزمة ذروتها عام ١٩٢٩ م، حيث ساد العالم أجمع أزمة اقتصادية طاحنة.

٤- الفاشية في إيطاليا :

خرجت إيطاليا من الحرب العالمية الأولى منتصرة بعد أن عاني شعبها مثله مثل باقي شعوب أوربا غير أن الثمار لم تكن تتناسب مع معاناة الشعوب، وبعد أن خيم السلام علي أوربا وانفضت مؤتمرات الصلح وجد الايطاليون أن العائد لم يكن ذا قيمة بل علي العكس زادت الضرائب وارتفعت أسعار الغذاء وندر الوقود وكان طبيعياً أن يتساءل مجتمع العمال مإذا جنوه من الحرب ومن الانتصار فساد روح الاستياء وغدا لنين ذا مكانه رفيعة، فوزعت صورة سراً وتبع الإضراب بإضراب آخر، وساد البلاد فوضي سياسية، أهمل الساسة خلالها القضايا القومية، واهتم كل منهم بتحسين صورته الشخصية وإبان هذه الفوضى ظهرت شخصية بنيتو موسوليني.

ولد بروز بنيت وموسوليني في ٢٩ يوليو ١٨٨٣، كان أبوه حداداً وأمه معلمة، ولد في فورلي Forly، وعندما بلغ الثامنة عشر عمل بالتدريس ثم هاجر إلى سويسرا ومنها أي باريس، وقضي معظم سنوات المهجر الثلاث في السجن نظراً لشغبه ومعاشرته ألفوضويين وعاد

مطروداً، فالتحق بالجيش لأداء الخدمة العسكرية، ثم عمل صحفياً، وعارض احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب في عمله الصحفية وحرض العمال علي تخريب السكك الحديدية لمنع إرسال الجنود والمؤن، انتقل إلى صحيفة اشتراكية وغدا خطراً علي النظام الاجتماعي، تم تحول تحولاً غريباً مع بداية الحرب ودعا إلى دخول إيطاليا الحرب ضد النمسا لتحقيق أطماع بلاده القومية، وتحمس للفكرة لدرجة أنه انخرط في الجيش حتى جرح وخرج من الحرب متأهب، جلي ألفكر، حاد المزاج، أستاذ في السياسة والمؤامرات.

حاول موسوليني أن يجد لنفسه متنفسا طبيعياً فأسس الحزب الفاشستي Fascistic، وهي كلمة رومانية تعني عصا يحملها حرس الشرف أمام الرئيس الأعلى للدولة وترمز للسلطان والسيطرة، وذلك في ميدينة ميلان في ٢٣ مارس ١٩١٩م، اجتذب الحزب إلى صفوفه المحاربين القدماء الذين أهملت الدولة أمرهم إضافة إلى الدهماء، وارتدي أنصار الحزب الفاشستي القمصان السوداء، وواجهوا منافسيهم وأعدائهم بقسوة وعنف، وصلت إلى حد مهاجمة المنازل والضرب والقتل أحياناً.

وفي ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ دخل موسوليني العاصمة روما وقبض علي زمام الأمور مع احتفاظ الملك بسلطاته الاسمية، وفي سرعة غريبة وبحد السيف أصبح الحزب الفاشستي هو الحزب الأول في إيطاليا كلها، وألزمت الصحافة وأساتذة الجامعات والطبقات المثقفة باعتناق مبادئ الحزب وكان السجن أو النفي هو نصيب المعارض، وكفي دليلاً علي ذلك اغتيال زعيم المعارضة في البرلمان ما تيوتي Matteoti، وبدأ عصر الحريات قد انتهي، وحصل الحزب الفاشستي علي الأغلبية المطلقة في انتخابات ١٩٢٣ (نوفمبر) وتفرد بالحكم، وأعلن موسوليني خطر حركات التمرد والعصيان والاعتصام، وأدخلت الصناعات تحت رعاية الحكومة.

غير أن سياسة كبت الحريات وتكميم الأفواه في الجامعة والصحافة واستخدام القوة بدلا من الإقناع، كانت مناقضة للديمقراطية، الأمر الذي أقل ق دول أوربا الغربية، أما داخل إيطاليا فقد نجح

الحزب الفاشستي في اكتساب عطف وتأييد الشعب الايطالي، بعد نجاحهم في القضاء علي فساد الإدارة وفساد العمل انتظمت القطارات، وبدأت حملات مكثفة للتنقيب علي الآثار الرومانية التي تحي أمجاد إيطاليا، وقامت حملات أخرى بتنظيم روما وتجميلها، والمبدأ الذي سار عليه الحزب الفاشستي لا يقل في عنفه وقسوته عن مبدأ الحزب الشيوعي، وقد صنفه المراقبون السياسيون آنذاك علي أنه اشتراكية قومية متحمسة، فجمع الأمة واختفي العداء بين صفوفها، كما أعيد التعليم الديني للمدارس وتصالحت الدولة مع الكنيسة في عام ١٩٢٩ فبالرغم من استبداد موسوليني فقد اعتبره الايطاليون احد القياصرة جاء ليعبد أمجاد روما مرة أخرى وفي مقابل ذلك تناسوا حرياتهم.

٥- النازية في ألمانيا:

خرجت الجمهورية في ألمانيا إلى حيز الوجود في أحلك الظروف، حيث وقع الجمهوريون الهدنة كما وقعوا معاهدات الصلح في باريس وقد حظيت الجمهورية بتأييد الأمة الألمانية كلها في الانتخابات التي جرت في ٦ فبراير عام ١٩١٩م، لاختيار جمعية فيمار لوضع الدستوري وغير أن الجمهورية تلقت ضربات شديدة منذ أيامها الأولى علي يد الشيوعيين والفوضويين والملكيين عندما حاول كل فريق قلب الجمهورية لصالحه، وكلها قوي لا يستهان بها فأطياف الشيوعية التي أنقذت فقراء روسيا كانت تحلق في سماء أوربا الشرقية، وبخاصة ألمانيا، فهي تداعب الفقراء ولاسيما طبقة العمال، غير أن صخب العمال كانت تنقصه الزعامة الواعية، وإذا كانت قد حلت بالبلاد المنتصرة أزمة مالية فلنا أن نتخيل مدي الأزمة التي عانت منها ألمانيا.

كانت جمهورية فيمار اضعف من أن تواجه أي خطر داخلي أو خارجي لأمرين الأولى أنها غير مسلحة والثاني أن قادتها تنقصهم التجربة فعلي المستوي الداخلي تمكن احد الثوار الملكيين ويدعي الدكتور كاب Kapp في مارس ١٩٢٠ أن يجمع حوله أنصار وسيطر علي برلين بعون من قائد حاميتها، بهدف إعادة الملكية، وفر الجمهوريون الجدد إلى شتوتجارت، ولم يتصد له سوي الأمة الألمانية التي أعادت زمام الأمور إلى الجمهوريين.

وعلي الصعيد الخارجي قام الجيش الفرنسي بإيحاء من بوانكاريه– رئيس الوزراء – باحتلال الراين احتجاجاً علي تباطؤ الألمان في دفع التعويضات التي فرضتها معاهدات الصلح بحجة الفقر وعندما اجتمع عمال المناجم في الروهر قام الجيش الفرنسي باحتلال إقليم الروهر نفسه في يناير ١٩٢٣م، واضطرت ألمانيا إلى خفض قيمة المارك فوصل إلى الحضيض، لتبرهن علي فقرها وعدم قدرتها علي دفع التعويضات التي بلغت ٦,٦٠٠ مليون جنيه إسترليني، ففي أكتوبر ١٩٢٣م، بلغت قيمة الجنيه الإسترليني ١١٢ مليار مارك، واضطرت فرنسا إلى إصلاح هذا الوضع المتردي بعد إجراء التعديل الوزاري لديها، فقامت فرنسا والوفاق بإعداد (لجنة دوز Dows ١٩٢٤) باقتراح ورئاسة أمريكية لبحث وتسوية الأزمة المالية الألمانية، وأوصت اللجنة بتأجيل دفع الديون وعقد قرض أجنبي لألمانيا وإنشاء بنك مركزي بها، وقبلت فرنسا توصيا اللجنة والانسحاب من الراين والروهر التي احتلتها ضماناً للدفع.

وعلي طريق التسوية والأخذ بيد ألمانيا عقدت فرنسا معها اتفاق (لوكارنو ديسمبر ١٩٢٥) باشتراك انجلترا حيث تعهد كلا الطرفين باحترام الحدود القائمة وعدم الاعتداء علي الآخر، وبذلك سلم شترسمان بحق فرنسا في الإلزاس واللورين، فأعلن رغبته في حفظ الأمن والسلام في أوربا ، فاطمأنت أوربا لألمانيا وطالبت بإدخالها عصبة الأمم ، ورغم اعتراض بعض الدول دخلت ألمانيا مجلس العصبة في عام ١٩٢٦م، وبقيت مشكلة نزع السلاح هي مشكلة ألمانيا مع جيرانها ، فالطائرات والمدافع الفرنسية والتشيكية والبولندية تزعج ألمانيا، فأما أن ينزع سلاح الجميع وأما أن يسمح لألمانيا بالتسلح، وأيا كان الأمر فأن عدم السماح لألمانيا بالتسلح لم يكن كله شر، فحسبها أنها استراحت من أعباء إعادة التسلح المالية التي ترهق أي ميزانية، فعاشت الجمهورية الألمانية في الفترة من ٢٤–١٩٢٩ أفضل فتراتها، حيث راجت حركة التجارة وارت عجلة المصانع بفضل القرض الذي بلغ ٧٥٠ مليون جنيه.

وفي عام ١٩٢٩ تعرضت جمهورية فيمار لنكبات خطيرة حيث مات أبرز رجالها (شترسمان) ومالبثت الأزمة المالية أن اجتاحت دول العالم، فحسبت نيويورك أرصدتها من ألمانيا، فتوقفت المصانع وطرد العمال، ووصل عدد العمال العاطلين من ألمانيا، فتوقفت المصانع وطرد العمال، ووصل عدد العمال العاطلين قرابة ستة ملايين عامل، كما حدث عجز خطير في الميزانية، وزاد السخط في الشوارع فكانت القاصمة للجمهورية الألمانية.

وإبان هذه الأزمة لمع نجم أدولف هتلر زعيم الحزب النازي وهتلر هو ابن احد موظفي الجمارك ولد في ٢٠ إبريل ١٨٩٩م، شارك في الحرب العالمية الأولي، وأصيب في عينيه وهتلر جاف الطباع قاصي القلب جامح إلى الخيال، خطيباً مفوها، طاهر اليد مغرم ببني جلدته، رأي هتلر أن الدولة هي سلطان يجب أن يخض له الجميع، كما رأي في الشيوعيين والديمقراطيين واليهود أعداء له. أطلق إتباع هـ علي أنفسهم اسم "الاشتراكيين الوطنيين" وفوا باسمهم المختصر عام ١٩٢٠ النازيين Nazis وطالبوا بإلغاء معاهدات الصلح وإعادة وحدة الألمان وإرجاع مستعمراتهم، وإعداد جيش وطني، وإلغاء حقوق اليهود الانتخابية، وأن تفرض الدولة هيمنتها علي الأعمال التجارية الكبيرة.

تمكن أدولف هتلر إبان هذه الأزمة من السيطرة بخطبة النارية ونشاط معاونيه من الإرهابيين ذوي القمصان السوداء علي الشارع الألماني وما كاد عام ١٩٣٣م يطل برأسه حتى نصب هتلر نفه مستشاراً للريح الألماني، وأطاع بجمهورية فيمار، رغم أنها نجحت خلال الفترة الماضية في وضع ألمانيا علي الطريق الصحيح، فأخرجت القوات الأجنبية من أراضيها وأعادت للمارك قيمته ونجحت في تخفيض التعويضات إلى رقم صغير جداً، وأدخلت ألمانيا عصبة الأمم ، وأيا ما كانت أيادي الجمهورية البيضاء علي ألمانيا فأمام الأزمات تناسي الألمان كل شيء وتركوا بلادهم في يد المغامر هتلر، الذي تعصب للجنس النوردي، فرأي فيهم أصل القوط أصحاب الحضارة الأوربية العريقة ومنهم المسيح ودانتي، فكان عنصري متطرف يسخر من مبدأ أخوة البشر، كما استأصل من التعليم كل ما ينتمي للحرية

وروح البر والعطف الإنسان ي، كما طرد من الجامعات الأساتذة ذوي المبادئ الحرة، وتميز النازيون بالتحلل من الدين وجعلت دكتاتورية هتلر من الإنسان عبد مسخر لخدمة الدولة وغاية الرجل أن زيد ي قوة الدول قدر إمكانه وغاية المرأة أن تلد للدولة رجالا محاربين أقوياء.

وقد ساعد علي نجاح أدولف هتلر أن أفكاره لاقت ارتباط في الأوساط الألمانية نظراً لمناصرته للقومية الألمانية ومحاربة نظام الطبقات وشدته في معاملة الخارجين عن هذا الإطار، وبخاصة بعد انتشار فئة ممن يستحلون أموال الدولة، كما ساعده فزع الألمان من الشيوعيين ورغبتهم في إقامة حكومة اقوي من الجمهورية القائمة، حكومة تحلق بألمانيا في سماء المجد، بعد أن أصبحت الروح العسكرية هي العقيدة الثانية لهذه الدولة.

وما أن مات الرئيس هندنبرج في ٢ أغسطس ١٩٣٤ حتى اعتلي هتلر كرسي الرئاسة مع احتفاظه بمنصب المستشارية، وتناسي الشعب الألماني ماضيه وأساليبه الوحشية والسرية في تأديب أعدائه والتي لم يسلم منها أعضاء حزبه أنفسهم عقب توليه رئاسة الحكومة، كل ذلك علي أمل أن يبعث هتلر الأمة الألمانية من جديد، وكان هتلر خطيباً ساحراً ولكنه لم يكن إداريا ناجحاً مثل موسوليني.

استغل هتلر الخلاف السياسي بين بريطانيا وفرنسا، وتفرق كلمتيهما وهما أكبر دولتين ديمقراطيتين في أوربا ، وذلك لتحقيق أهداف ه السياسية وفي يناير ١٩٣٥ اجري استفتاء في أقل يم السار وفقا لمعاهدة فرساي، جاءت نتيجته لصالح ألمانيا، حيث صوت ٩٠% من سكانه بالرجوع إلى أحضان ألمانيا، فكان ذلك بمثابة انتصار لسياسة هتلر وفي مارس من نفس العام أعلن هتلر تحديه لجيرانه فطبق نظام التجنيد الإجبار ي، وإقامة المصانع الكبرى لإنتاج الأسلحة والطائرات الحربية علي نطاق واسع وإنشاء قوة جوية، رغم معارضة كل ذلك لمعاهدة فرساي.

أدى تسليح ألمانيا إلى قلق فرنسا، في حين تقبلت بريطانيا الوضع دون أي اعتراض الأمر الذي زاد من قلق فرنسا، فتوجهت إلى

الاتحاد السوفيتي وعقدت معه اتفاقاً في ٢ مايو ١٩٣٥م، وهي معاهدة حربية رغم أنها اتخذت من عصبة الأمم ستاراً للاتفاق، ردت ألمانيا بزيادة التقارب مع بريطانيا، وهنا تتجلي عبقرية هتلر، الذي نجح في التوصل إلى عقد معاهدة بحرية في يونيو ١٩٣٥م اعترف فيها هتلر بتفوق قوة البحرية البريطانية مقابل سماح بريطانيا له باختراق معاهدة فرساي فيما يتعلق بالتسلح البحري وبذلك بدأت سياسة الأحلاف، وشهد المسرح الأوربي تطورات سريعة في العلاقات الدولية.

الفصل الرابع

مقدمات الحرب العالمية الثانية

تتفق مقدمات الحربين العالميين في حدوث أزمات أدت إلى توتر المجتمع الدولي، لكنها تختلف من حيث طبيعة هذه الأزمات، فبينما تميزت مقدمات الحرب العالمية الأولى بأنها أزمات أربع تركزت في

مسرحين كان يمكن لأي منهم أن تكون سبباً في الحرب، نجد أن مقدمات الحرب العالمية الثانية تمثلت في عدة أزمات ساهمت كل منها بقدر ما في توتر العلاقات الدولية، فساهمت جميعها في إشعال الحرب في عام ١٩٣٩م أما بالنسبة لمسرح الأزمات فقد اتسع نطاقه ليشمل أوربا والشرق الأوسط والأقصى، لتصطبغ الحرب المقبلة بصبغة أكثر عالمية.

جاءت أزمات النصف الثاني من العقد الرابع نتيجة طبيعية لتسويات ما بعد الحرب العالمية الأولي، تلك التسويات التي حققت رغبات الدول المنتصرة علي حاب الدول المهزومة، فأثارت أحقاد الأخيرة، وحتى بعض الدول المنتصرة لم يتحقق لها ما كانت ترمي إليه، فتعددت شعوبها علي حكوماتها فكان طبيعياً أن تنمو في هذه البيئية حكومات دكتاتورية تسلب شعوبها الحرية لكنها تنح في تعبئه تلك الشعوب أملا في تعويض خسائر الحرب وتحقيق طموحاتها وأحلامها وأن تشارك في تقسيم غنائم المستعمرات وقد ساهم في تطور هذه الأزمات ضعف عصبة الأمم وعدم فاعلية قراراتها، فضربت الدول بها عرض الحائط وفيما يلي دراسة لبعض المشاكل التي أدت إلى توتر العلاقات الدولية عشية الحرب العالمية الثانية.

١- غزو اليابان لمنشوريا:

خرجت اليابان من الحرب العالمية الأولى بلا خسائر، وأصبحت القوة الأولى في منطقة الشرق الأقصى، واليابان تتكون من عدد من الجزر ألفقيرة، فتربتها معظمها صخرية، تتهددها الزلازل والفيضانات، وهي دولة كبير من حيث تعداد السكان، لذا تتطلع اليابان دائماً لتحقيق مكاسب علي الجانب المقابل من الساحل الآسيوي، غير أنها كانت مقيدة في سياستها مع الصين بسياسة الباب المفتوح التي فرضتها عليها الولايات المتحدة والدول الأوربية .

ومع بداية العقد الرابع من القرن العشرين تطلعت اليابان للأقل يم الشمالي من الصين وهو أقل يم منشوريا ذات المكانة الاقتصادية الهامة حيث ترفرف أشجاره طوال العام، كما أنه يتمتع بموقع استراتيجي

خطير، حيث يشرف علي أقاليم الاتحاد السوفيتي فيفضل بينها وبين المياه الدفيئة خشيت اليابان من وقوع الأقل يم الهام في يد الاتحاد السوفيتي، فخططت لضمه إلى ممتلكاتها، ساعدها علي ذلك أن منشورياً كانت خاضعة آنذاك لحكم قائد عسكري صيني شبه مستقل.

استغلت اليابان انفجار عبوة ناسفة في قطار سكة حديد منشوريا، راح ضحيته بعض اليابانيين وكثير من الصينيين، وسيرت اليابان جيوشها لاحتلال منشويا، فأقمت فيها دولة باسم منشوكو "تحت حكم بو يي Pu yi إمبراطور الصين السابق في خريف ١٩٣١ وتم إخضاع الدولة الجديدة لنفوذ اليابان بعد فصلها عن الصين واعترفت اليابان بالدولة الجديدة في ١٥ سبتمبر ١٩٣٢م.

وقفت عصبة الأمم عاجزة عن التصدي لمنطق القوة اليابانية التي انتهكت ميثاق العصبة الذي وقعت عليه من قبل وحاولت العصبة اتخاذ إجراء شكلي فقررت إرسال لجنة ليتون Lytton لتقصي الحقائق في الأقل ي المشار إليه، أوصت اللجنة في ٢٤ فبراير ١٩٣٣م بإقامة حكومة مستقبلة في منشوكو تخضع لنفوذ الصين غير أن اليابان ضربن بوصاية اللجنة وقرار العصبة عرض الحائط، وإمعانا في السخرية قررت الحكومة العسكرية في اليابان الانسحاب من العصبة وتوطيد مركزها في الأقل يم الجديد.

لم تكتف اليابان بإقليم منشوريا فعاودت الكرة بعد خمس سنوات ففي عام ١٩٣٧م رواد اليابان الأمل في السيطرة علي باقي الأقاليم الشمالية الغنية في الصين وظنت اليابان الأمر سهل، فاستغلت بعض المناوشات المصطنعة بين قواتها والقوات الصينية أثناء تدريب قواتها بالقرب من سواحل الصين، وسيرت جيوشها للاستيلاء علي الأقاليم المشار إليها، لم تحسب اليابان حساباً لقوة الصين البشرية وقدرتها في الدفاع عن الأقاليم التابعة لها بشكل مباشر وظنت أن الأمر لن يختلف عن منشوريا التي كانت تتمتع باستقلال ذاتي تحت السيادة الصينية.

فغررت اليابان بقواتها في معركة امتدت لتصبح أحد فصول الحرب العالمية الثانية، ولم تأت بنتائج حماسة الأمر الذي دعا بعض

المحللين إلى اعتبار غزو منشوريا من أهم أسباب الحرية العالمية الثانية.

٢- الحرب الايطالية في الحبشة:

بعد غزو اليابان لمنشوريا وفشل العصبة في التصدي له أصبحت القوة هي اللغة المسيطرة علي العلاقات الدولية، وتوقف نشاط عصبة الأمم عند حد التأثير الأدبي والحصار السلمي الذي تقبله أو لا تقبله الدول الأخرى، الأمر الذي شجع الدول ذات الميول العدوانية علي كشف النقاب عن وجهها الحقيقي، من هذه الدول إيطاليا ذات الأطماع الاستعمارية في الحبشة، حيث رأي موسوليني في هذه البلاد الغنية لقمة سائغة لبداية تحقيق أطماعه الاستعمارية.

وفي أكتوبر ١٩٣٥م توجهت إيطاليا بكل قواتها ومعداتها الحربية نحو الحبشة حيث التقت أمة أوربية متقدمة سلاحها المدفع والطائرة والغازات السامة مع أمة متخلفة تدافع عن نفسها بالأسلحة التقليدية فكانت الكلمة بالطبع للمدفع والطائرة، حيث نجحت القوات الايطالية في دخول العاصمة أديس أبابا في مارس ١٩٣٦م وأطاحت بالإمبراطور هيلاسلاسي وعينت مكانه الملك فيكتور عمانويل الثالث في مايو من نفس العام، وانتهكت إيطاليا عهد العصبة الذي وقعت عليه باعتدائها علي دولة أخرى عضو في العصبة.

لم تجد استغاثة الإمبراطور هيلاسلاسي صدي في أوربا حيث أثرت بريطانيا وفرنسا سياسة التهدئة، بينما تلقت ألمانيا الأنباء بكل ارتياح، حيث يفتح الطريق أمامها لتحقيق أطماعها، وأعلن ت عصبة الأمم أن إيطاليا دولة معتدية وطالبت جميع الدول بتوقيع عقوبة اقتصادية علي إيطاليا، وذلك لفرض حصار اقتصادي عليها لم يكن الحصار الاقتصادي ذات قيمة بالنسبة لإيطاليا إلا بالنسبة للبترول وقد فشل الحصار الاقتصادي في تحقيق الهدف منه بإصرار كثير من الدول علي عدم إدراج البترول والحديد الصلب والقصير في قائمة الممنوعات في التعامل الاقتصادي مع إيطاليا.

ولاشك أن الحصار الاقتصادي لم يستوف معني العقوبة إذ لابد أن يكون الحصار تمهيد عسكري شامل من جانب الدول المشاركة في العصبة، طالما أن الحصار الاقتصادي لم يأت بنتائج ايجابية تجبر الدولة المعتدية علي سحب قواتها، إلا أن هذا التدرج في العقوبة يتوقف علي إرادة المجتمع الدولي، والأخير لم تتوفر لدية الرغبة الصادقة في التصدي للخارجين علي عهد العصبة وما لبثت العصبة أن رفعت العقوبات الاقتصادية عن إيطاليا في يوليو ١٩٣٧م، مقرر بعجزها في معالجة القضية.

٣- الأطماع التوسعية الألمانية ولعبة التوازن الدولي:

ذكرنا فيما سبق كيف نجح أدولف هتلر في فصل بريطانيا عن التحالف الفرنسي – الروسي، بعد نجاح عقد معاهدة بحرية مع بريطانيا وأخذ ت سياسة الأحلاف تخيم علي سماء العلاقات الدولية واستغل هتلر فرصة حرج مركز موسوليني الدولي عقب اعتدائه علي الحبشة وأعلن تأييده لسياسة إيطاليا في الحبشة، فضمن كسب ود ألفاشي الايطالي، وحدث التقارب الدكتاتوري الألماني الايطالي.

استغل هتلر التباعد الفرنسي- البريطاني وقرر تسليح منطقة الراين بقواته العسكرية، وكانت اتفاقيات الصلح في باريس قد جعلت منها منطقة منزوعة السلاح في إطار تكوين مناطق حاجزه بين ألمانيا وفرنسا وفي ٧ مارس ١٩٣٦م دخلت القوات الألمانية منطقة الراين وعندما اتهمته فرنسا بأن انتهك معاهدة لوكارنو ١٩٢٥ التي تعهد بالحفاظ عليها من قبل، أصبح هتلر بأن المعاهدة الفرنسية- السوفيية هي في جوهرها انتهاك للمعاهدة المذكورة واكتفت بريطانيا بأن أعلن ت علي لسان وزير خارجيتها بأنها لن تتردد في دخول الحرب إذا تعرضت فرنسا لهجوم ألماني.

والتقت أهداف كل من إيطاليا وألمانيا في مساندة الجنرال فرانكو بالأسلحة والطائرات ضد الملكيين والشيوعيين في أسبانيا، حيث تمكن الجنرال فرانكو من إقامة دكتاتورية عام ١٩٣٩ بعد حرب أهلية امتدت فصولها طوال العقد الرابع من القرن العشرين وحصدت حوالي مليون

نفس بشرية اسبانية، وكان للإمدادات الايطالية والألمانية أثرها في حسم الحرب الأهلية لصالح فرانكو.

رأي هتلر في اليابان حليفاً عسكرياً قوياً، فتحالف معها ضد الشيوعية في خريف ١٩٣٦م وما لبثت إيطاليا أن لحفت بهذا التحالف، وكان طبيعياً أن تتضمن إليه أسبانيا بعد وصول فرانكوا إلى الحكم ثم انضمت إليهم المجر، وعندما زار موسوليني ألمانيا في سبتمبر ١٩٣٧م أعلن موسوليني وهتلر إقامة محور سياسي برلين – روما بهدف معلن هو حفظ السلام في أوربا .

لم يمض سوي ستة أشهر علي تأسيس المحور حتى ظهرت النوايا الحقيقية لهتلر، ففي ١٢ مارس دخلت القوات الألمانية النمسا بعد أن كيل الجيش والبوليس بداخلها طابور خامس تابع لألمانيا وتم إعلان قيام اتحاد ألمانيا– النمسا وهو اتحاد من جانب واحد، حيث وجد هتلر في النمسا دولة ضعيفة لكنها تضم عدد كبير من الألمان، وفي الوقت نفسه تفصل ألمانيا عن إيطاليا وتشيكوسلوفاكيا.

لم يكد العالم الأوربي يفيق من عملية ضم النمسا حتى أثارت ألمانيا قضية الألمان في إقليم السوديت الواقع داخل حدود تشيكوسلوفاكيا، بمقتضي معاهدة فرنسا لم يثر الألمان القضية دولياً إلا بعد توجيه موجه من الإعلام الألماني المركز إلى أقل يم السوديت، تدعو الألمان إلى الانضمام إلى حظيرة الوطن الأم، أثمرت الحملة الإعلامية فطالب ألمان السوديت من الحكومة التشكيلية أن تسمح لهم باللحاق بوطنهم الأصلي، وتبع ذلك قيام خلافات حادة داخل البرلمان التشيكي أعقبها مواجهات دامية بين البوليس التشيكي والثوار السوديت وهنا فقط انبرت ألمانيا فتوجهت بطلبها للحكومة التشيكية بلهجة التهديد والوعيد .

آثرت كل من بريطانيا وفرنسا التدخل وإقناع حكومة تشيكوسلوفاكيا بتسليم الأراضي التي بها ألمان أكثر من ٥٠% للحكومة الألمانية والمثير للقلق أن بولندا والمجر تقدمتا بطلب مماثل للحكومة التشيكية بضم أقاليم كانت تابعة لهما داخل الحدود التشيكية، وفي

ميونخ اجتمع هتلر وموسوليني مع ممثلي الحكومة البريطانية والفرنسية تشيمبرلين ودالاديبه، وبعد مفاوضات توصل المؤتمرون في ٢٩ سبتمبر ١٩٣٨م بتسليم بعض المواقع التشيكية للألمان وإجراء استفتاء في بعضها الآخر وقبل الطرفان الاتفاق فهذا الموقف وتأخرت الحرب، غير أنها سجلت انتصاراً دبلوماسياً لهتلر.

لم يكتف هتلر بهذا القدر من تشيكوسلوفاكيا بل طالب بنش بالانسحاب من العصبة وإقصاء اليهود من مناصبهم فقدم بنش استقالته وتم انتخاب الدكتور إميل هاشا رئيسا للجمهورية، وحدثت خلافات حادة بين السلوفاك والتشيك فأعلن ت ولأية سلوفاكيا استقلالها في ١٤ مارس ١٩٣٩ وعندما حاول هاشا إرغامها علي العودة إلى خطيرة دولته، استنجد السلوفاك بهتلر الذي استدعي هاشا إلى برلين وأرغمه علي توقيع وثيقة باستقلال ولأية سلوفاكيا واعتبارها محمية ألمانية، وتدفقت الجيوش الألمانية داخل ولأية التشيك واقتطعت الأجزاء المجاورة لها لصالح الرايخ الألماني غير أن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي أرسلوا مذكرة اعتراض شديدة اللهجة علي تفتيت تشيكوسوفاكيا، وأعلن ت بريطانيا وفرنسا عزمها علي تقديم المعونة لبولندا إذا اعتدت عليها ألمانيا.

اقتفي الزعيم الإيطالي أثر حليفه فأرسل قوات إلى ألبانيا في ٧ إبريل ١٩٣٩م فلاذ ملكها بالفرار إلى اليونان، وبعد خمسة أيام عقدت الجمعية التأسيسية وقررت مرغمة عرض تاج ألبانيا علي الملك فتكور عمانويل، فأصبح يلقب بملك إيطاليا وألبانيا وإمبراطور الحبشة، وعلي الفور أعلن ت بريطانيا وفرنسا أيضاً في اليوم التالي (١٣ إبريل) عزمها علي تقديم المساعدة لليونان ورومانيا في حالة تعرضهما لأي اعتداء وفي ٢٧ إبريل فرضت بريطانيا نظام التجنيد الإجبار ي، فاعتبره هتلر عملا عدائياً موجهاً ضد بلاده،فألغي من جانبه الاتفاقية البحرية الموقعة بين البلدين عام ١٩٣٥م.

حاولت بريطانيا وفرنسا جذب الاتحاد السوفيتي في تحالف لتطويع أطماع ألمانيا منذ عام ١٩٣٨م غير أن موقف روسيا تمييز بالغموض، واشترطت أخيراً موافقة بريطانيا وفرنسا علي وضع دويلات البلطيق

الثلاث (لتوانيا ولاتفيا واستونيا) تحت وصايتها غير أن الدويلات الثلاث لم تكن تقبل هذه الوصاية ، وقد سبق لهم أن وقعوا اتفاق عدم اعتداء مع ألمانيا في مارس ويونيو من عام ١٩٣٩، ثم حدث تحول خطير عندما أعلن ت ألمانيا عن التوصل إلى اتفاق عدم اعتداء مع روسيا في موسكو ٢٣ أغسطس ١٩٣٩م وضمت المعاهدة ملحقاً سرياً بتحديد نفوذ كل منهما، في دويلات البلطيق وبولندا وباسارابيا الأمر الذي شجع هتلر علي تضيق الخناق علي بولندا، وفشلت كل وساطات الصلح، وبات سحق بولندا أمراً لا مفر منه، ولا شك أنها ستكون شرارة لحرب عالمية ثانية

الفصل الخامس

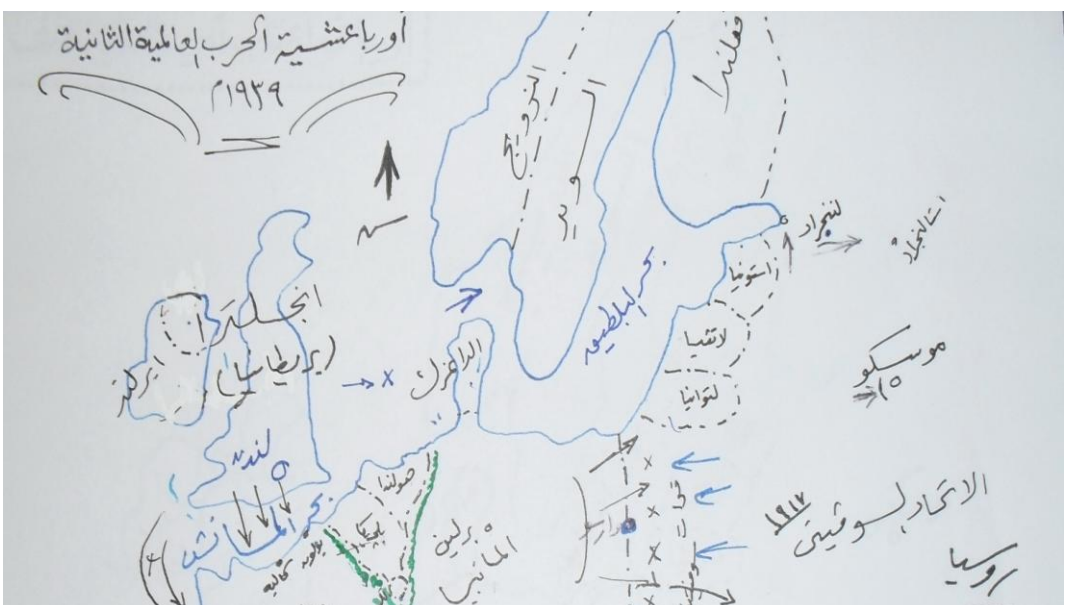
أوربا عشية الحرب العالمية الثانية
١٩٣٩م
فنلندا
البحر البلطيق
الخليج
السويد
النرويج
انجلترا
(بريطانيا)
لندن
بلجيكا
برلين
ألمانيا
بولندا
الدانمرك
استونيا
لاتفيا
ليتوانيا
موسكو
١٩١٧
الاتحاد السوفيتي
روسيا

خريطة أوربا عشية الحرب العالمية الثانية

المرحلة الأولى من الحرب (أول سبتمبر ١٩٣٩م – ١٥ يونيو ١٩٤٠م)

تبدأ المرحلة الأولى بسحق بولندا وتنتهي بسقوط باريس فمع أول سبتمبر ١٩٣٩م بدأت الحرب دون إعلان رسمي بهجوم القوات الجوية الألمانية علي المواقع العسكرية والنقاط الحصينة والمصالح الحيوية البولندية وتقاطع الخطوط الحديدة حتى أصابتها بالشلل التام ثم تبعتها المدرعات والدبابات الألمانية فاجتاحت إقليم سليزيا الصناعية في سبعة أيام ولم ينقذ بولندا إعلان فرنسا وبريطانيا الحرب في الثالث من سبتمبر نظرا لاقتصار الأمر علي نقل الجيوش إلى الجبهة الفرنسية وتحصينها، في الوقت الذي اندفعت فيه القرارات الروسية داخل حدود بولندا الشرقية، فوضعت بولندا بين فكي الكماشة واضطرت حامية وارسو إلى التسليم بعد مقاومة عنيدة في ٢٨ سبتمبر ثم وقعت في موسكو معاهدة لتعيين الحدود الجديدة بين الاتحاد السوفيتي ألمانيا.

وأعلنت الدولتين بأنهما انتهيا من تسوية المشكلات الناشبة عن انهيار بولندا.

عبأت بريطانيا وفرنسا جيوشهما، ونقلت بريطانيا ١٥٨ ألف رجل و ٢٥ ألف عربة إلى فرنسا وكانت فرنسا قد حصنت حدودها مع ألمانيا بخط ماجينيو الذي تم وضعه وفق أحدث الأسس العلمية، وفي المقابل إنشاء ألمانيا خط سيجفريد، والخطان سلسلة من التحصينات متشابهة إلى حد كبير غير أن خط ماجينيو لم يمتد مع الحدود البلجيكية، حيث اكتفت السلطات الفرنسي بخط من الأسلاك الشائكة وخندق ضد الدبابات وسلسلة حفز لاصطياد الدبابات دير أن الحرب اتخذت الشكل الصامت غير المعلن إبان هذه الفترة وحاول الاتحاد السوفيتي تحصين حدوده فأرغم دويلات البلطيق علي الدخول معه في معاهدات دفاعية سمحت للقوات الروسية بالتمركز في بعض النقاط الساحلية، وعندما حاولت إرغام فنلندا علي الدخول في نفس الاطار رفضت فنلده فشن عليها الاتحاد السوفيتي حرباً شعواء، اضطرت معها فنلندا إلى التسليم بمطالب الاتحاد السوفيتي في مارس ١٩٤٠م.

وقبل إعلان الحرب رسمياً امتدت ألمانيا بناظريها إلى البلاد الاسكندنافية، حيث يأتيها الحديد الخام من السويد وبالإضافة للأهمية الاقتصادية تعتبر البلاد الإسكندنافية خط الدفاع الخلفي لألمانيا التي قامت دون سابق إنذار في ١٩ إبريل ١٩٤٠ بهجوم خاطف استولي به علي الدانمرك وفي صباح اليوم التالي شن الألمان هجوما منظماً علي طول سواحل النرويج، بشكل مل يسمح للقوات البريطانية من إنقاذ النرويج.

لم ينفض سوي شهر واحد علي غزو النرويج حتى شن هجوماً واسع النطاق علي هولندا ولكسمبرج وبلجيكا في وقت واحد (فجر ١٠ مايو ١٩٤٠) دون إعلان أي حرب واكتسحوا لكسمبرج وسرعان ما أرغمتها القوات الألمانية علي إلقاء السلاح، وخاضت القوات الألمانية حرباً شاملة ضد بلجيكا فسحقت الجيش البلجيكي، ونجحت القوات الألمانية في تحطيم خط دفاع الحلفاء ودخل إميان في ١٩ مايو، ثم زحفوا صوب القتال الانجليزي، الأمر الذي فت في عضد الجيش

الفرنسي، الذي أخذ يرتد تحت وطأة القوات الألمانية تعرقله ألوف النساء والأطفال التي ملأت الطرق فارة من ميادين الحرب وفي ٢٨ مايو سلم الجيش البلجيكي وخرج الحلفاء تاركين وراءهم كل عتادهم وأصيبت الحكومة الفرنسية بالفزع فقررت في الثامن من يونيو الانتقال من باريس إلى بوردو.

بدأ النصر قاب قوسين أو ادني من الألمان، الأمر الذي أغري موسوليني فأعلن الحرب علي الحلفاء في ١٠ يونيو ١٩٤٠ لينال قدرا من الأسلاب والغنائم وبعد خمسة أيام تمكن الألمان من دخول باريس وسقطت وزارة رينو وتولي الحكم المارشال بيتان الذي طلب من الألمان عقد هدنة بين الدولتين وفي ٢٢ يونيو وقع الفرنسيون علي الهدنة في كمبيين Campiegne في نفس المكان الذي وقع فيه الألمان علي هدنة الوفاق عام ١٩١٨ وبمقتضي الاتفاق احتل الألمان معظم الأراضي الفرنسية بما فيها موانيها علي القنال الإنجليزي وتسريح الجيش الفرنسي فيما عدا القوات اللازمة لحفظ الأمن ، وانسحاب الأسطول الفرنسي إلى موانٍ معينة بعد تجريده من السلاح، وأن تتحمل فرنسا نفقات الاحتلال، وإطلاق سراح جميع الأسرى الألمان الذين وقعوا في قبضة فرنسا، وأن يبقي أسرى فرنسا في يد ألمانيا.

المرحلة الثانية (أغسطس – ديسمبر ١٩٤٠م)

وهي مرحلة الحرب البريطانية، حيث بقيت بريطانيا وحدها في الميدان، بعد سقوط فرنسا، وتوقع الجميع أن النصر حليف ألمانيا لا ريب في ذلك، وأن المسألة مسألة وقت غير أن بريطانيا نجحت في تحصين جزيرتها وتدريب قواتها ولم شمل قواتها في فرنسا وبلجيكا، ساعدها علي ذلك أن هتلر أمهل فريسته فلم ينقض عليها، ولو انقض عليها عقب سقوط فرنسا لتغير الأمر تماماً استقالت الوزارة في لندن وتشكلت وزارة ائتلافية في ١٠ مايو ١٩٤٠م بزعامة ونستون تشرشل الذي تمكن من بعث الروح القومية القتالية في بريطانيا بخطبه النارية، وعقد العزم علي عدم إلقاء السلاح والدفاع عن كيان البلاد حتى لو اضطرت بريطانيا للقتال وحدها سنوات طوال.

أخذ ت الطائرات الألمانية تمطر بريطانيا بوابل من النيران طول فصلي الصيف والخريف عام ١٩٤٠م تركزت غارات الألمان علي المدن الساحلية في الجنوب الشرقي وعلي القوافل السفن التجارية البريطانية، ثم استهدفت الغارات الألمانية مصانع الطائرات والمطارات تركزت الغارات في سبتمبر علي لندن، وحاولت القوات البريطانية الزود عن بلادها قدر الأمكان وفي منتصف نوفمبر نقلت الغارات الألمانية ميدان العمليات إلى المدن الصناعية، بهدف تدمير البنية الصناعية لبريطانيا فدكت مدن مانشستر وبرمنجهام وشفليد وبالطبع كان معظم الضحايا من المدنيين، غير أن بريطانيا تلقت كل هذه الضربات في كبرى اء نادر، وكان أكثر المتفائلين يقول بتسلمي لندن بنهاية عام ١٩٤٠م.

نجحت بريطانيا في استيعاب الضربة الجوية الألمانية، ساعدها علي ذلك مساندة مستعمراتها لها، كما نجحت بريطانيا في رد الغارات الجوية بغارات مضادة علي المناطق الصناعية في الروهور، ثم شنت ألمانيا حرب اشد ضراوة ضد السفن التجارية البريطانية باستخدام الألغام الممغنطة التي تلقيها الطائرات في مداخل الموانى والتي كلفت الجانب البريطاني خسائر فادحة حتى تمكن العلماء من اختراع وسائل مضادة.

المرحلة الثالثة (سبتمبر ١٩٣٠ – يونيو ١٩٤١م) :

وتشمل الحرب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والبلقان، ففي سبتمبر ١٩٤٠ أنفد موسوليني حملة إلى مصر، عبرت حدودها مع ليبيا واستولت على سيدي براني وتقدمت نحو مرسى مطروح ، كان من المفترض أن تتصدى لها فرقتين من القوات المصرية البرية[١] إضافة إلى القوات البحرية البريطانية، لكن القيادة البريطانية فضلت أن تكون المواجهة بريطانية خالصة بقيادة ويفيل Wavell وتمكنت القوات

(١) كان موقف مصر من الحرب العالمية الثانية مائعا حتى هذه اللحظة، لذا صدرت الأوامر البريطانية بانسحاب الفرقتين المصريتين وتسليم أسلحتهم للقوات البريطانية، سبب القرار حالة من الغليان بين القوات المصرية، لاسيما صغار الضباط وكان بعضهم عناصر من الخلية التي تكونت وستكون نواة للضباط الأحرار فيما بعد، وقد رفضوا تسليم أسلحتهم وأصروا على ذلك واكتفوا بالانسحاب من الميدان بأسلحتهم والاتجاه نحو القاهرة. راجع: محمد أنور السادات، **أسرار الثورة المصرية وبواعثها الخفية، ص ص ٣٥- ٤١**

البريطانية من هزيمتها ومطاردتها حتى استولت علي ولاية برقة في مارس ١٩٤١م وخسر الايطاليون أكثر من مائه ألف أسير، كما تمكنت بريطانيا من ضم لبنان وسوريا من حكومة فيش الفرنسية (التي كانت في حالة هدنة مع الألمان) في يوليو ١٩٤١م، فكونت حزاما أمنياً في الشرق الأوسط، ثم تمكنت القوات البريطانية في عام ١٩١٤ م من القضاء علي الإمبراطورية الايطالية في أفريقيا وعاد الإمبراطور هيلاسلاس إلى أديس أبابا وسلمت القوات الايطالية في الحبشة وإرتيريا.

دخلت القوات الألمانية البلقان في أوائل عام ١٩٤١م اثر فشل موسوليني في غزو اليونان عن طريق ألبانيا، فأكد هوا الحكومة البلغارية علي الانضمام إلى صفوفهم، ثم أعلن ت ألمانيا الحرب علي يوغوسلافيا في ١٦ إبريل ١٩٤١ فاحتلتها عن بكرة أبيها في غضون عشرة أيام ثم جاء الدور علي اليونان حاولت بريطانيا مساندة حليفتها الجديدة غير أن سيل القوات الألمانية جرفت أمامها قوات الحلفاء في اليونان، ووصلت إلى سالونيك في غضون أسبوعين فقط في إبريل ١٩٤١، وعندما حاولت القوات البريطانية التحصن بجزيرة كريت تتبعتها القوات الايطالية فألحقت بها هزيمة أخرى في ٢٠ مايو فدان شرق أوربا كله للألمان الذين سيطروا علي خيرات البلقان، واحتفظت تركيا بالحياد .

ثم حاولت ألمانيا الانتقام لحليفتها إيطاليا في شمال أفريقيا، فسيرت جيوشاً جرارة إلى شمال أفريقيا وعلي رأسها احد القادة الألمانية الأفذاذ ويدعي رومل Rommel وهو خبير بحرب الصحراء، تمكن رومل من اقتحام حدود مصر الغربية، وحقق سلسلة من الانتصارات أوصلته في يونيو ١٩٤١م حتى مرسى مطروح، وبدا واضحاً أن مصر عما قريب ستقع في قبضته تحصنت القوات البريطانية في العالمين، بقيادة الجنرال الكسندر والجنرال منتجومري وأرسلت الولايات المتحدة فور إعلانها الحرب دعماً من أربعمائة دبابة للجيش البريطاني في مصر، تميزت العالمين بأنها موقع استراتيجي منيع يبعد عن مصدر

التمويل الألماني، لذا تمكنت القوات البريطانية المدعومة من وقف زحف رومل عند العالمين.

المرحلة الرابعة : الحرب مع الاتحاد السوفيتي:

ضم الاتحاد السوفيتي دويلات البلطيق وأجزاء من رومانيا، كما بدأت سلسلة من التحركات المريبة علي الحدود الألمانية، الأمر الذي أثار شكوك هتلر، فقرر في ٢٢ يونيو ١٩٤١م إعلان الحرب علي الاتحاد السوفيتي، وانظم إلى ألمانيا رومانيا وإيطاليا وفنلندا ووقفت الولايات المتحدة موقف الحياد المشبع بالعطف علي الاتحاد السوفيتي وتوقع هتلر أن يحقق علي الصعيد السوفيتي نصر سهل سريع يؤمن به الجبهة الشرقية ويضع يده علي قمح أوكرانيا وبترول القوقاز بالإضافة للموارد الصناعية قسم هلتر جيوشه صوب الاتحاد السوفيتي إلى ثلاثة أقسام اتجه الجنوبي إلى أوكرانيا والأوسط إلى موسكو والشمالي إلى لننجراد عبر دول البلطيق.

الجيش الألماني في الميدان الروسي

حققت القوات الألمانية نجاحاً سريعاً علي كافة المحاور فاستولت القوات الجنوبية علي معظم أوكرانيا وأصبحت الوسطي علي مقربة من

موسكو والشمالي بلغ أبواب لننجراد، وبالرغم من خسائر السوفييت ألفادحة إلا أن معينة لا ينضب من الرجال والمؤن فاستماتوا في الدفاع عن موسكو ولننجراد، ساعدهم علي ذلك برد الشتاء القارس الذي قيد حركة الألمان، فلم يستعيدوا نشاطهم إلا في ربيع عام١٩٤٢ حيث أكملوا سيطرتهم علي شبه جزيرة القمح وتوجهوا نحو ستالينجراد.

وما أن حل شتاء ١٩٤٢ م حتى تجمدت الأعمال الحربية للألمان فدارت عليهم الدائرة واضطرت قواتهم إلى الانسحاب من مدينة ستالينجراد في أغسطس ١٩٤٢م فشنوا عليها هجوماً عنيفاً، ودافعت القوات السوفيتية بكل شدة، وبالرغم من تفوق الألمان وسيطرتهم علي معظم أجزاء المدينة فقد كلفتهم هذه المعركة وحدها حوالي مليون قتيل أي حوالي ربع القوات الألمانية في الجبهة الروسية، وقد فت في عضد الألمان هزيمتهم في العالمين في أكتوبر ١٩٤٢م أن تستسلم في آخر يناير ١٩٤٣م.

ومن هنا نتبين أن مصر ساهمت في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية مساهمة فعالة، لكنها لم تجن الثمن، فلم تحصل على أي مقابل عقب الحرب سواء من مشروع مارشال الذي انتشل اوربا من أزمتها المالية، أو حتى في تحقيق الجلاء الكامل عن أراضيها، ولم يبق لمصر سوى حقول الألغام في الصحراء الغربية التي تحصد أرواح ابنائها كل يوم ممن يحاولون الاقتراب من هذه المناطق. كان على ساسة مصر ان ينتبهوا غلى هذا الأمر ويطالبون الحلفاء بعد الحرب بتحمل مسئولياتهم في تسليم خرائط مواقع الألغام والمساهمة في تطهير هذه الألغام، ودفع التعويضات المناسبة لضحياها.

المرحلة الخامسة : دخول الولايات المتحدة واليابان الحرب"

وقفت الولايات المتحدة علي الحياد منذ البداية غير أنه كان حياداً مشبعاً بالعطف علي الحلفاء وقد أسفر هذا العطف في بداية الحرب عن تصديق الكونجرس الأمريكي علي السماح للدول المتحاربة شراء أسلحة أمريكية علي ألا تنقل علي سفن أمريكية، وذلك لعون بريطانيا وفرنسا وفي آخر يوليو ١٩٤٠م أعلن الرئيس روزفلت بأن مبدأ منرو

يحتم علي بلاده حماية مستعمرات الحلفاء في الأمريكتين حتى يمنع ألمانيا من الاستيلاء علي مستعمرات فرنسا وهولندا بعد سقوطهما في أيديها ومع بداية سبتمبر ١٩٤٠م زاد التعاون بين الولايات المتحدة والحلفاء حيث تم الاتفاق علي أن تقرض الولايات المتحدة بريطانيا خمسين مدمرة مقابل تأجير بريطانيا لها عدد من القواعد البحرية والجوية في نيوفوندلاند وجزر الهند الغربية لمدة ٩٩ سنة ثم زاد مساعدتها للحلفاء بمقتضي قانون الإعارة والتأجير الذي اعتمده روزفلت في مارس ١٩٤١ وظل طوال مدة الحرب، وبمقتضاه حصل الحلفاء من الولايات المتحدة علي أسلحة ومعونات حربية تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ مليار دولار وتنازلت الولايات المتحدة عنها لحليفتها بعد الحرب، ثم التقي روزفلت مع ونستون تشرشل في ١٤ أغسطس ١٩٤١ في نيوفوند لاند، حيث وقعا ميثاق الأطلنطي الذي حوي نقاط مماثلة لمبادئ ولسن الأربعة عشر، وتوقيع الميثاق في هذه الظروف يعد اعترافا من الدولتين بحكمة ولسن الذي لم تطبق مبادؤه في فترة ما بين الحربين.

استمر القتال بين القوات اليابانية والصينية، وكان الحلفاء يقومون بإمداد الصين سرا عن طريق مستعمرتي بريطانيا، بورما والملايو، فقررت اليابان ضم المستعمرتين، حتى تقطع الطريق علي هذه المساعدات وحاولت اليابان إقحام نفسها في الحرب إلى جانب الحلفاء وتطلعت لفرض سيطرتها علي الهند الصينية الفرنسية فردت الولايات المتحدة بتقديم قروض للصين وفرض حصار جزئي علي اليابان وعندما فرضت اليابان حمايتها علي الهند الصينية في ٢٥ يوليو ١٩٤١ ردت الولايات المتحدة بضم الفلبين وتعيين دجلاس مالا آرثر قائداً عاما لقواتها في الشرق الأقصى وتجميد أرصدة اليابان في الولايات المتحدة وفشل وفد اليابان إلى واشنطن في التوصل إلى حل لهذه الأزمة .

وفي صباح يوم الأحد ٧ ديسمبر ١٩٤١ شنت القوات اليابانية حربا بقاذفات القنابل علي وحدات الأسطول الأمريكي الرابض في ميناء بيرل هاربر بجزرها وأي فأبادته عن بكرة أبيه، وقضت علي التفوق البحري الأمريكي في المحيط الهادئ بضربه واحدة وهاجمت الطائرات اليابانية المطارات الأمريكية في الفلبين، فألحقت بها خسائر هائلة،

وعلي الفور أعلن ت الولايات المتحدة الحرب علي اليابان وأعلنت كل من ألمانيا وإيطاليا الحرب علي الولايات المتحدة.

الأسطول الأمريكي يحترق في بيرل هاربر

وعلي الفور استولت القوات البرية اليابانية علي سيام وشمال شرق الملايو وفي ١٠ ديسمبر اغرق اليابانيون بارجتين تمثلاً عصب السلاح البحري البريطاني في الشرق الأقصى واستولوا علي مفاتيح الشرق الأقصى هنج كونج ٢٥ ديسمبر ورابول القاعدة الأساسية في استراليا

فـي ينـاير ١٩٤٢ وسـنغافورة فـي ١٥ فبرايـر وجـزر الهنـد الشـرقية باقتصادياتها الهائلة ثم سقطت بورما في مارس ١٩٤٢.

واضـطرت جيـوش الحلفـاء إلـى الاستسـلام فـي برمـا والفلبـين والملايـو، ولـم ينجـي الهنـد مـن بـراثن القـوات اليابانيـة سـوي هطـول الأمطار الموسمية.

وهكذا حقق اليابانيون نصراً في الشرق الأقصى لا يقل عما حققه الألمـان فـي أوربـا وروسـيا وشـمال أفريقيـا وبـدا لكـل ذي نـاظرين أن النصر قاب قوسين أو ادني من دول "حور غير أن المد السريع لدول المحور سرعان ما توقف وأخذ ت الكفتان تصلان إلى مرحلة التعادل عـامي ٤٢، ١٩٤٣ مـع اسـتمرار القتـال الضـاري فـي كافـة المسـارات وكـان طـول فترة القتـال فـي صـالح الحلفـاء لعدة أسباب منهـا مـا يتعلـق بالحلفاء ومنهـا مـا يتعلـق بـالمحور، ففـي الجانـب الأخير كانـت إيطاليـا تمثـل قـوة اسـتنزاف حيـث تلقـت العديـد مـن الضـربات اسـتوعبتها بانتصـارات الألمـان أمـا اليابـان فكانـت تحركهـا مصـالحها وأطماعهـا حيث جاء ضربها للأسطول الأمريكي علي غير رغبة من هتلر الذي كان يري أبعاد الولايات المتحدة عن ميدان الحرب المباشر أضف إلى ذلك أن دول المحور لم يكن لها هيئة أركان تعمل علي التنسيق بين جيوشـها المتفرقـة والاسـتفادة مـن انتصـاراتها المتلاحقـة وعلـي الجانـب الآخـر كـان الحلفـاء قـد قيـد لهمـا قائـدان حربيـان ذا عقليـة واعيـة همـا ونسـتون تشرشـل ورزوفلـت، اللـذان نسـقا فيمـا بينهمـا خططهمـا الحربيـة واسـتفاداً مـن أخطـاء أعدائهما وكسـب ثقـة وتأييـد شـعبيهما، فجعـلا مـن الحروب معارك شـعب وليست معارك حكومات، فلا تجد مثير فتن أو مشككين أو ثورات كالتي قامت في دول المحور.

المرحلة الأخيرة من الحرب:

بـدأت المرحلـة الأخيـرة مـن الحـرب فـي الشـرق الأوسـط فـي تـاريخ مبكـر أكتـوبر ١٩٤٢ بمعركـة العـالمين حيـث اتفـق الحلفـاء علـي أن يزحـف جـيش بريطـاني غربـا نحـو القـوات الألمانيـة فـي العـالمين، فـي الوقـت الـذي تنـزل فيـه قـوات الحلفـاء المسـتعمرات الفرنسـية فـي شـمال

أفريقيا وفي ليلة ٢٤ أكتوبر شنت القوات البريطانية بقيادة منتجومري هجوماً علي قوات رومل فاخترقت دفاعاته ثم واصلت زحفها خلفه فاستعادت طبرق في ١٢ نوفمبر ثم طرابلس في ٢٣ يناير ١٩٤٣م وتحصن رومل في تونس غير أنه وجد نفسه محاصراً من قوات منتجومري القادمة في تونس غير أنه وجد نفسه محاصراً من قوات منتجومري القادمة من الشرق وقوات الحلفاء الزاحفة من الغرب وفي ٧ إبريل تم اتصال قوات الحلفاء في تونس، ولم يمضي سوي شهر حتى استسلمت قوات المحور، والتي بلغت حوالي ربع مليون جندي، وفي رومل جوا مع عدد من كبار معاونيه، غير أنه لقي حتفه في صيف عام ١٩٤٤ في ظروف غامضة.

تأثرت إيطاليا بهزائم المحور في شمال أفريقيا، فانهارت الجبهة الداخلية، الأمر الذي اضطر موسوليني إلى تقديم استقالته في ٢٥ يوليو ١٩٤٣ أن وتشكلت حكومة برئاسة المارشال بادوليو Badolio الذي شرع في عقد هدنه مع الحلفاء، سلمت علي أثرها إيطاليا بدون قيد أو شرط ووضعت أسطوليها البحري والجوي وأرضيها تحت تصرف الحلفاء، وذلك في ٣ سبتمبر ١٩٤٣ وما أن علمت ألمانيا بالهدنة حتى احتلت جيوشها إيطاليا، ففرت الحكومة جديدة إلى معسكرات الحلفاء وأعلن ت الحرب علي ألمانيا، واعتبرها الحلفاء دولة تابعة لهم، وكان الألمان قد نجحوا في الوصول إلى معتل موسوليني فأطلقوا سراحه وشكل حكومة في إيطاليا أعلن ت الحرب مرة أخرى علي الحلفاء وبدأت محاولات الحلفاء لاستعادة إيطاليا، ورغم تفوق جيوش الحلفاء فقد دافعت القوات الألمانية العنيدة عن النصف الشمالي من إيطاليا ولم تسلم إلا في آخر إبريل ١٩٤٥م بعد معارك مضنية للطرفين وتم التوقيع علي معاهدة تسليم دون قيد أو شرط وتم إلقاء القبض علي موسوليني واجري له مواطنوه محاكمة صورية وأعدموه رميا بالرصاص مع بعض معاونيه وعلقت جثثهم في مقر الحزب الفاشستي.

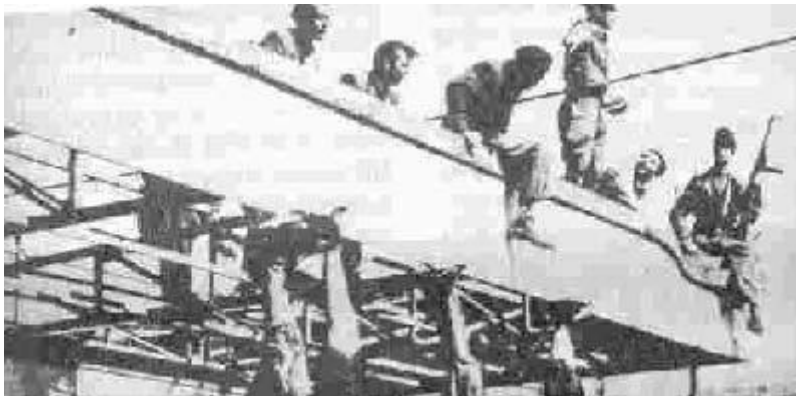

إعدام موسوليني ورفاقه في مقر الحزب الفاشيستي

وعلي الجانب السوفيتي تمكن الحلفاء من توصيل إمداداتهم للسوفييت عبر إيران، فنجح السوفييت في وقف الزحف الألماني في معركة ستالينجراد حسبما سبق وبدأ الكرة لصالح السوفييت وأخذ الألمان في التراجع التدريجي البطيء طول عامي ١٩٤٣و ١٩٤٤، فاستعاد السوفيت لننجراد في يناير ١٩٤٣، ثم أوكرانيا في مارس ١٩٤٤ فشبه جزيرة القرم في مايو ١٩٤٤ فأصبحت القوات الألمانية علي حدود بولندا القديمة ورومانيا.

وعلي صعيد غرب أوربا شن الحلفاء حرباً جوية شديدة التركيز ضد مواقع الألمان في فرنسا والبنية الاقتصادية من جسور ومصانع وسكك حديدية، واستمرت هذه الغارات في النصف الثاني من عام ١٩٤٢ وعامي ٤٣ و ١٩٤٤ ألقت خلالها قاذفات القنابل التابعة للحلفاء أكثر من مليونين ونصف مليون طن من القنابل والمتفجرات ثم بدأت جيوش الحلفاء الغزو البري للأراضي الفرنسية في ٦ يونيو

١٩٤٤، وتوالت انتصارات الحلفاء، وأخذ الألمان في التراجع التدريجي فتمكن الحلفاء من دخول باريس في ٢٣ أغسطس ١٩٤٤، ثم سقطت مدن الساحل الفرنسي الجنوبي مارسيليا وطولون في أواخر أغسطس وليون في أول سبتمبر، وبحلول منتصف سبتمبر لم يبق من الأراضي الفرنسية في يد الألمان سوى مدن الساحل الشمالي والإلزاس واللورين، كما تحررت بروكسل في ٣ سبتمبر، ثم شن الحلفاء هجوما لتحرير باقي هولندا وبلجيكا حتى وصلت قواتهم إلى حدود ألمانيا.

وربا تمكنت الجيوش الروسية من هزيمة القوات الفنلندية، التي سلمت في نهاية أغسطس ١٩٤٤ وتعهدوا بأن ينسحبوا إلى حدودهم عام ١٩٤٠ وبعد هزيمة القوات الألمانية قرب الحدود الروسية في أواخر يونيو ١٩٤٤ فاستعادوا دويلات البلطيق الثلاث، ثم سقطت مدن بولندا الواحدة تلو الأخرى حتى وصلوا إلى مشارف وارسو، غير أن الألمان اجمعوا شتات قوتهم واستماتوا في القتال، فاعلقوا تقدم القوات الروسية، وبدأ هجوم روسي جديد في البلقان، فتوغلوا في أراضي رومانيا التي أعلن ت قبولها الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي في أغسطس ١٩٤٤ وإعلان الحرب علي ألمانيا ثم عبرت القوات السوفيتية حدود المجر وتقدمت نحو بودابست فسلمت وعقدت هدنة مع السوفييت في ٢٠ يناير ١٩٤٥ أما بالنسبة لليونان فقد انسحبت منها القوات الألمانية بمجرد أن نزلت قوة بريطانية علي سواحلها، وذلك لحرج موقف الألمان في البلاد ودخل السوفييت فينا عاصمة النمسا ومنها توجهوا نحو برلين.

وفي فبراير ١٩٤٥ شنت قوات الحلفاء هجوماً علي الأجزاء الباقية من فرنسا، ثم سقطت مدن السار في أيديهم في مارس ١٩٤٥ ونجح منتجومري في التقدم داخل الأراضي الألمانية وتطويق أقل يم الروهرو الغني بمناجم ومصانع الحديد، وانتهت مقاومتها نهائياً في ١٨ إبريل ثم زحف الحلفاء إلى قلب ألمانيا التي انهارت مقاومتها، واستسلمت أنقاض المدن الألمانية الواحدة تلو الأخرى ثم طوقوا برلين من جهة الغرب في حين طوقها الروس من جهة الشرق، وسلمت برلين في الثاني من مايو ١٩٤٥ فألقي الألمان السلاح في كل مكان، وانتحر

هتلـر أسـفل دار المستشـارية وفـي ٧ مـايو وقـع رئـيس هيئـة الأركـان الألمانية وثيقة التسليم بدون قيد أو شرط.

تفرغ الحلفاء بعد سقوط دولتي المحور لليابان شن الحلفاء هجوما علي فتوحات اليابان وفي يناير ١٩٤٥ تمكنت القوات البريطانية من دخول بورما، كما سيطرت قوات الحلفاء علي جزر المحيط الهادي، الأمر الذي هدد خطوط تمويل اليابانيين كما تمكن الأمريكيون من الاستيلاء علي الفلبين في النصف الأول من عام ١٩٤٥ وأخذ الحلفاء يقتربون من جزر اليابان شيئاً فشيئاً حتى طوقت القوات الأمريكية الجزر اليابانية وأمطرت مدنها بالقنابل فألحقت بها خسائر فادحة وأصبح موقف اليابان حرجاً بعد تسليم ألمانيا.

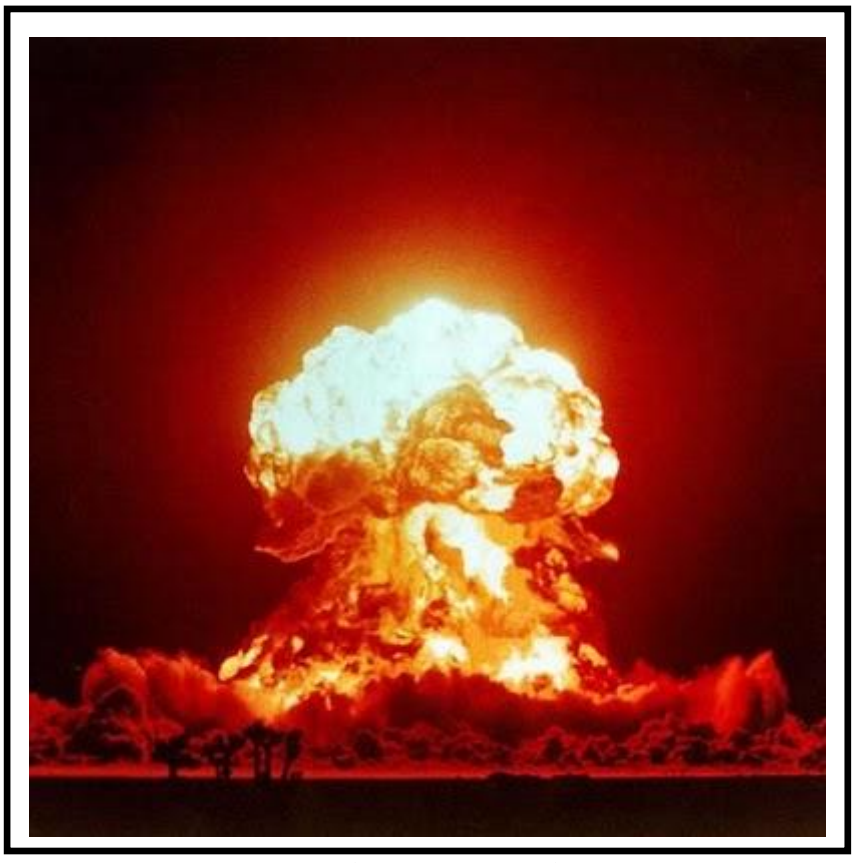

قنبلة هيروشيما لحظة الانفجار

قدم الحلفاء إنذاراً لليابان في ٢ يوليو ١٩٤٥ بالتسليم دون قيد أو شرط وألا تعرضت للدمار التام تجاهلت اليابان الإنذار فقامت طائرة أمريكية بإلقاء قنبلة ذرية علي مدينة هيروشيما في ٦ أغسطس ١٩٤٥م فأحدثت تدميراً هائلاً شمل حوالي أربعة أميال مربعة بكل ما

فيها من مباني وبشر وزرع، وبلغ عدد قتلي هيروشيما ١٨٠ ألف قتيل و١٢٠ ألف جريح وتشرد ٢٠٠ ألف، وفي يوم ٩ أغسطس ألقت القنبلة الثانية علي مدينة نجازاكي واستغلت روسيا الفرصة واستولت علي منشوريا يوم ٨ أغسطس فاضطرت اليابان إلى التسليم في ١٥ أغسطس وفي ٢ سبتمبر وقع مندوبو اليابان اتفاق التسليم وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية بعد حرب دامت ست سنوات كاملة.

آثار القتل والدمار في هيروشيما

أوربا في أعقاب الحرب العالمية الثانية:

لم يشهد العالم في أعقاب الحرب العالمية الثانية مؤتمرات صلح دولية، كما حدث في أعقاب الحرب العالمية الأولى، حيث أصبح العالم أكثر تعقيدا وخريطة أوربا أكثر استقرارا، قبيل الحرب العالمية الثانية. فركز ساسة الحلفاء قرب نهاية الحرب العالمية الثانية – في مؤتمر اتهم المتلاحقة– علي إعادة الأوضاع الأوربية إلى ما كانت عليه قبل الحرب مع تفتيت ألمانيا، ففي مؤتمر موسكو (أكتوبر ١٩٤٣) قرر وزراء خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا سقوط الاتحاديين ألمانيا والنمسا وتشكلت لجنة استشارية أوربية في لندن لوضع المبادئ الأساسية التي تتعامل ألمانيا علي أساسها بعد الحرب.

اقترحت اللجنة الاستشارية الأوربية (في يناير ١٩٤٤) حرمان ألمانيا من قدراتها الصناعية وتحويلها إلى بلد زراعي بدائي وتمزيق وحدة ألمانيا واختلفت الرؤية بين الحلفاء حول تقسيم ألمانيا فاقترحت بريطانيا، (في ١٥ يناير ١٩٤٤) أن يحتل الاتحاد السوفيتي المناطق الشرقية وهي مساحة تقدر بحوالي ٤٠ % من أراضي ألمانيا، بينما تحتل بريطانيا الشمال الغربي لألمانيا بما فيه منطقة الرهر الصناعية، وتحتل الولايات المتحدة المناطق الجنوبية المتاحة للأراضي الفرنسية، وتقسم برلين بين ثلاث مناطق نفوذ وافقت الولايات المتحدة علي التقسيم بعد إجراء تعديلات في المنطقتين البريطانية والأمريكية حيث منحت الأخيرة منفذاً علي المحيط مروراً بمنطقة النفوذ البريطاني.

وأقر مؤتمر يالتا (فبراري ١٩٤٥) مسألة تقسيم ألماني إلى ثلاث مناطق نفوذ، وتشكيل مجلس أعلي للإشراف عل عملية التقسيم، ونجح تشرشل في إقناع حليفتيه باقتطاع منطقة رابعة لصالح فرنسا تضم أقل يم السار من المنطقة البريطانية وجزء من المنطقة الأمريكية كما أقر المؤتمر بصفة مبدئية مسألة التعويضات الحربية بمبلغ عشرين ألف مليون دولار.

وفي ٧ مايو ١٩٤٥ استسلمت ألمانيا دون قيد أو شرط واحتل الحلفاء كل أراضيها وأخذوا في ترتيب إجراءات نزع سلاحيها برياً وبحرياً وجوياً وأغلقت الكليات العسكرية ودمرت صناعات الأسلحة والذخائر وسلمت كبار الزعماء ومجرمي الحرب وقسمت ألمانيا إلى أربعة مناطق، كما قسمت برين، وتولت هيئة من رؤساء الأركان الأربعة السلطة العليا في ألمانيا، واختصت الهيئة بالأمور المشتركة من بريد ومواصلات وشئون اقتصادية ومنح كل رئيس سلطة مطلقة في منطقة نفوذه.

واقتطعت فرنسا لنفسها أقل يم السار، لم يعد لألمانيا إلا بمقتضي اتفاق (أكتوبر ١٩٥٦) الذي عقد بين ألمانيا وفرنسا، وكثرت مطامع الدول المحيطة لاقتطاع أجزاء من ألمانيا في إطار قص أجنحتها.

لـم يكـن تقسـيم ألمانيـا إلـى أربـع منـاطق نفـوذ هـو الحـل النهـائي لمشكلة ألمانيـا، حيـث شـهدت السـنوات التاليـة للحـرب محـاولات متفرقـة لإعـادة توحيـد ألمانيـا علـي الأقـل سياسـياً لا اقتصـادياً، مـع اتخـاذ إجراءات أخرى بحرمانها من قدراتها العسكرية لمدة أربعين عاما فناقش مؤتمر موسكو (١٠ مارس١٩٤٧) نمط حكومة ألمانيا المستقبلية وشهد المـؤتمر خلافـاً حـاداً، حيـث أصـرت فرنسـا علـي تقسـيم ألمانيـا وقيـام حكومة اتحادية ضعيفة، وطالبت روسيا بقيام حكومة مركزية، في حين تمسكت بريطانيـا والولايـات المتحـدة بحكومـة اتحاديـة قويـة وقـد نبعـت مطالـب فرنسـا مـن خوفهـا الشـديد مـن عـودة ألمانيـا إلـى قوتهـا ومـن ثـم تهديد فرنسـا مرة أخرى ومـع تبلـور السياسـة العالميـة فـي قطبـين شـرقي وغربي زادت مسألة الاتفاق علي شكل الحكومة الألمانية تعقيداً.

عنـدما تيقنـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة مـن إصـرار الاتحـاد السـوفيتي علـي أي حلـول يقـدمها الغـرب اجتمـع وزيـر خارجيتهـا مـع نظيريه الفرنسي والبريطاني في لندن (٢٣ فبراير ١٩٤٨م) للاتفاق علي توحيد المناطق الغربية الثالث وفي بون اجتمع أول مجلس برلماني من ٥٥ عضـواً (فـي أول سبتمبر ١٩٤٨) لإعداد دسـتور لألمانيـا الغربيـة، ووضـعت منطقـة الروهر تحت إشراف دولـي غربـي، وفـي يونيـو ١٩٤٩ أصبح المارك الألماني هو عملة ألمانيا الغربية، حاول الاتحاد السوفيتي أثنـاء الغرب عن تقسيم ألمانيـا بهذا الشكل فحاصـر برلين لمـدة شـهر، غير أن الغرب قام بتمويل برلين الغربيـة جوا وفـي مايو ١٩٤٩ صـدر أول دسـتور لألمانيـا الغربيـة جعـل منهـا جمهوريـة فيدراليـة مكونـة مـن احـدي عشـرة ولأيـة وفـي أغسـطس تـم انتخـاب كـونرد أدنيـاور أول مستشار لألمانيا الغربية واتخذت من بون عاصمة لها.

وفـي ٧ أكتـوبر ١٩٤٩م رد الاتحـاد السـوفيتي بـإعلان إنشـاء جمهوريـة ألمانيـا الديمقراطيـة فـي المنطقـة الواقعـة تحـت نفـوذه، وعرفـت فيها بعد بألمانيا الشرقية واتخذ من برلين الشرقية عامة لها وبعد ثلاثة أيـام تـم حـل الحكومـة العسـكرية وسـلمت الإدارة للألمـان هكـذا قسـمت ألمانيا قسمين أو دولتين.

أما بالنسبة لباقي الدول الأوربية التي تورطت في الحرب إلى جانب ألمانيا فقد عهد الحلفاء إلى مجلس وزراء خارجيته مهمة عقد معاهدات صلح منفردة مع كل من هذه الدول علي حده وهي إيطاليا ورومانيا وبلغاريا والمجر وفنلندا ونأخذ إيطاليا مثالا علي هذه المعاهدات فقد انضمت إيطاليا إلى جانب الحلفاء وأعلن ت الحرب علي ألمانيا الأمر لذي خفف عنها في معاهدة الصلح الخاصة بها، والتي عقدت في باريس في ١٠ فبراير ١٩٤٧ ووقع عليها ممثلو الدول الخمسة عشر التي شاركت في الحرب ضد المحور.

وبمقتضي هذه المعاهدة تم تحديد القوة العسكرية برية وبحرية وجوية لإيطاليا، كما تقرر تصفية الإمبراطورية الايطالية التي تكونت في عهد موسيليني فاعترفت باستقلال ألبانيا الحبشة، وعرض موضوع الصومال واريتريا وليبيا علي الأمم المتحدة بعد سنة من تنفيذ المعاهدة.

وضمت اليونان جزيرة رودس والدوديكانيز، وعدلت الحدود الشمالية تعديلات طفيفة، وقدرت تعويضات الحرب علي إيطاليا بستمائة مليون دولار تدفعها للدول التي تضررت من دخول إيطاليا الحرب وهي اليونان وألبانيا ويوغسلافيا والحبشة والاتحاد السوفيتي، ومع زيادة التباعد بين المعسكرين الشرقي والغربي تنازلت الولايات المتحدة وإتباع ه عن كثير من القيود المالية والعسكرية التي فرضتها المعاهدة علي إيطاليا.

الفصل السادس

السوق الأوربية المشتركة

كانت أوربا أكثر قارات العالم علي الإطلاق معاناة من جراء الحربين العالميتين الأولى والثانية، حيث دارت أشد معاركهما ضراوة علي أرض أوربا ، كما بدأت معارك الحربين وانتهت علي أرضها، الأمر الذي سبب خسائر فادحة في البنية الأساسية الاقتصادية لدول أوربا ، كما قضي علي زعامة أوربا للعالم ممثلة في بريطانيا وفرنسا قبل الحربين العالميتين، الأمر الذي جعل الجميع يفكر في إنهاء حالة الحرب والقضاء علي أسباب الحروب في المستقبل بإقامة وحدة أوربية وقد جاءت ألفكرة الأولى لهذه الوحدة من خارج أوربا وبالتحديد من الولايات المتحدة متمثلة في مشروع مارشال وزير الخارجية الأمريكية آنذاك، ويقوم مشروع مارشال علي معونة أمريكية لدول أوربا ، وعلي الدول الأوربية أن تتعاون فيما بينها لحل مشكلاتها الاقتصادية الناجمة عن الخلل الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية.

قدرت تكاليف مشروع مارشال بنحو ٢٢ بليون دولار أمريكي، وهو مبلغ عظيم آنذاك غير أن المسائل المتعلقة بالأمن القومي لا تأبه بحجم المصروفات، ومن المعروف أن أمن أوربا الغربية هو أمن الولايات المتحدة، حيث يجمعها حلف شمال الأطلنطي، وشيء طبيعي أن تسعي الولايات المتحدة إلى تقوية خط المواجهة الأول مع الشيوعية وذلك بدعم النظم الرأسمالي ة في أوربا الغربية، والقضاء علي أسباب التباغض والتحاسد فيما بينهم، وهو ما لا يتحقق إلا في ظل الوحدة الأوربية بغض النظر عن الآثار السلبية لهذه الوحدة علي الاقتصاد الأمريكي.

وفي مؤتمر باريس أقرت ١٧ دولة أوربية خطة مارشال بإنشاء منظمة التعاون الاقتصادي الأوربي Economic Co-Operation(OEEC) Organization of European وقد اتفقت الدول الأعضاء علي سياسة موجهة في استخدام الموارد المتاحة في الدول الأعضاء وإزالة العقبات التي تعترض حركة التبادل التجاري سواء منها ما يتعلق بالرسوم أو قيود الملكية، وكذلك تسهيل مرور الأفراد بين دول المنظمة.

ثم جاءت الخطوة الثانية لتوحيد أوربا من داخل أعضاء منظمة التعاون الاقتصادي ، أي من داخل أوربا ذاتها ممثلة في المجموعة الأوربية للفحم والصلب European Coal and Steal Community (ECSC) حيث اقترح روبرت شومان وزير خارجية فرنسا– أقام سوق أوربية تشمل الصناعات الأساسية لتكون حجر الأساس في توحيد دول أوربا ، ووافقت علي الاقتراح خمس دول هي إيطاليا وألمانيا الغربية ولكسمبورج وبلجيكا وهولندا وعقدت الدول الست معاهدة في باريس ١٨ إبريل عام ١٩٥١م، فأنشأت ما يعرف بالمجموعة الأوربية للفحم والصلب وأصبحت المعاهدة سارية المفعول من ٢٥ يوليو ١٩٥٢م.

بدأت المجموعة الاقتصادية الأوربية الجديدة (الدول الست) نشاطها بالفحم والصلب، وهما عصب الحياة الصناعية الأوربية آنذاك، وليس بغريب أن تبدأ ألفكرة في فرنسا وتوافق عليها ألمانيا وهما الدولتان اللتان عانتا ويلات الحروب بسب نزاعهما علي أقاليم السار والإلزاس واللورين، وهي أهم مناطق إنتاج الفحم والحديد، وتهف السوق الجديدة إلى التكامل بين الدول الأعضاء في الحديد والفحم والصناعات المتعلقة بهما، حيث قررت الدول الأعضاء إلغاء الرسوم الجمركية فيما بينهم لمنتجات صناعتي الصلب والفحم، مع حرية انتقال العمالة ورؤوس الأموال للعمل في هاتين الصناعتين، وتحقيق التجارة الحرة ومنع الاحتكار فيهما، وأخيراً اتخاذ سياسة جمركية موحدة تجاه الدول الأخرى غير الأعضاء في السوق.

حققت الجماعة الأوربية للفحم والصلب نجاحاً شجع الدول الست علي اتخاذ خطة اكبر في سبيل تحقيق الوحدة الأوروبية، تمثلت في فكرة إنشاء سوق أوربية مشتركة، أسندت ألفكرة إلى لجن برئاسة هنري سباك"وزير خارجية بلجيكا" وبعد دراسة مستفيضة اقترحت اللجنة تبني فكرة إنشاء السوق، وفي مؤتمر البندقية ١٩٥٦ وافقت الدول الست علي تقرير اللجنة وأسندت إليها مهمة إعداد مشروع معاهدة للسوق الأوربية المشتركة وفي ٢٥ مارس ١٩٥٧م وقعت الدول الست الأعضاء في جماعة الفحم والصلب علي معاهدة السوق الأوربية

المشتركة في مدينة روما، علي أن تكون سارية المفعول في أول يناير ١٩٥٩٨م.

نصت المعاهدة علي إنشاء السوق الأوربية المشتركة خلال مرحلة انتقالية اثني عشر عاما قد تزيد إلى خمسة عشر عاما إذا اقتضت الظروف تقسم إلى ثلاث مراحل، مدة كل منها أربع سنوات ولا يجوز الانتقال إلى المرحلة الأعلى إلا إذا تحققت كل الأهداف المرجوة من المرحلة الأدنى حتى لو اقتضت الضرورة زيادة مدة المرحلة الأولى سنة أو سنتين علي الأكثر، أما المرحلتين الثانية والثالثة فلا يجوز مد مدتيهما إلا بإجماع آراء الأعضاء ، غير أن المحك الملي أثبت نجاح ألفكرة حيث نجحت السوق في تحقق الأهداف المطلوبة من كل مرحلة قبل المدة القانونية، فعقد الأعضاء مؤتمر قمة في لاهاي في أول ديسمبر عام ١٩٦٩ لإنهاء المرحلة الانتقالية في أول يناير ١٩٧٠.

وقفت المملكة المتحدة موقفاً سلبياً من السوق الأوربية عند إنشائها وشككت في إمكانية نجاحها غير أن السوق سرعان ما أثبتت جدارتها، وظهرت بوادر هذا النجاح خلال الفترة الأولى من المرحلة الانتقالية ، والتي حققت كل أهداف ها قبل المدة المحددة لها عندئذ حاولت المملكة المتحدة التقرب من دول السوق، فقدمت طلبا بالالتحاق، غير أن مجلس وزراء السوق تجاهل الطلب البريطاني أكثر من مرة حتى قبلت السوق بعد إلحاح شديد عضوية المملكة المتحدة في يناير ١٩٧٢م.

أهداف السوق :

تهدف السوق إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي وتحسين مستوي المعيشة داخل الدول الأعضاء، وتوثيق الروابط بينهما، وتنسيق السياسات الاقتصادية فيما بينهما حتى تصل إلى توحيد السياسة التجارية وقد نصت المعاهدة علي الأهداف التالية:

أولاً: إلغاء الرسوم الجمركية علي الواردات بين الدول الأعضاء:

نصت المعاهدة علي إلغاء الرسوم الجمركية علي الواردات بين الدول الأعضاء بشكل تدريجي ينتهي عند بداية عام ١٩٧٠ غير أن نسبة التخفيضات سارت بشكل أسرع مما كان متوقع لها ففي يناير

١٩٦٦ كان مخططاً أن تصل نسبة التخفيضات إلى ٦٠% غير أنها تجاوزت الحد المطلوب فبلغت ٨٠% وفي يوليو ١٩٦٧ وصلت ٨٥% وبعد عام (يوليو ١٩٦٨) تم إلغاء الرسوم علي الواردات بشكل نهائي قبل الموعد المحدد لها بعام ونصف.

ثانياً: إلغاء قيود الكمية الخاصة بالصادرات والواردات بين دول السوق:

اختلفت تحديد المعاهدة لموعد إلغاء قيود الكمية عن كل من الصادرات والواردات، فحددت نهاية المرحلة الأولى من الفترة الانتقالية موعداً لإلغاء قيود الكمية علي الصادرات، بينما حددت نهاية الفترة الانتقالية موعداً لإلغاء قيود الكمية علي الواردات، وذلك لحماية قطاع الصناعات المحلية في كل دول السوق حتى تتمكن من الارتقاء به إلى الحد الذي يمكنه من مواجهة الواردات، وقد ألغيت كل قيود الكمية الخاصة بالواردات قبل نهاية الموعد المحدد لها بعام ونصف أي في يوليو ١٩٦٨م.

ثالثاً: وضع تعريفه جمركية موحدة علي واردات الدول غير الأعضاء:

خضعت أيضاً التعريفة الجمركية الموحدة علي واردات الدول غير الأعضاء للتدرج خلال المرحلة الانتقائية، وقد روعي خفض التعريف الجمركية الموحدة علي واردات المواد الخام غير المصنعة ونصف المصنعة، غير المتوفرة لدي الدول الأعضاء والقطن أما المواد المصنعة أو المتوفرة لدي الدول الأعضاء أو المواد الزراعية– بخلاف القطن– فقد خضعت لتعريفه جمركية عالية.

رابعاً: تشجيع انتقال العمال ورؤوس الأموال بين دول السوق:

نصت المادتان ٤٨، ٤٩ من معاهدة السوق علي إلغاء القيود المفروضة علي حرية انتقال العمال بين الدول الأعضاء ، وكذلك القيود المفروضة عل حرية أقمتهم، في موعد لا يتجاوز الفترة الانتقالية ، كما تلغي التفرقة والتمييز بين العمال العاملون في غير بلادهم سواء في الأجور أو مواعيد العمل كما نصت المادة ٦٧ من نفس المعاهدة علي إلغاء القيود علي حركة رؤوس الأموال بشكل تدريجي حتى نهاية

المرحلة الانتقالية ومعاملتها رؤوس الأموال المحلية من حيث الضرائب والفوائد والأرباح.

خامساً: إقرار سياسية نقل مشتركة:

تعد شبكات النقل جهازاً عصبياً ضرورياً لدعم الاقتصاد، حيث تمثل تكاليف النقل جزءاً من تكلفة المنتج، ومن ثم إقرار سياسة مشتركة للنقل تعد شرطاً للتكامل الاقتصادي بين دول السوق وتقتضي هذه السياسة إلغاء أي تمييز في أجور النقل إلا باستثناء من اللجنة التنفيذية كان تخفض أسعار نقل السلع تابعة لمشروع ما من أجل تشجيع الاستثمار في مكان ما.

سادساً: إتباع سياسة زراعة مشتركة:

حرصت المعاهدة علي تنمية الكفاية الإنتاجية للزراعة، وضمان مستوي معيشي مرتفع للعاملين بالزراعة يتناسب مع دخول العاملين في مجالات الصناعة وغيرها، كما حرصت علي تقديم المنتجات الزراعية للمستهلك بأسعار مناسبة، ضمان لاستقرار السوق، وقد تضمنت السياسة الزراعية ميدانين أساسيين هما:

أ- استغلال المنتجات الزراعية لدول السوق التي لديها فائض في سد حاجة دول السوق الأخرى وعدم لجوء الدول الأخيرة إلى الأسواق الخارجية إلا في حالة عدم وجود فائض من السلعة المراد استيرادها ولا شك أن السياسة الجمركية الموحدة تكفل هذا المبدأ وتعمل علي حماية المنتجات المحلية لدول السوق .

ب-التزام السوق الأوربية المشتركة بتحمل الأعباء المالية الناتجة عن إتباع سياسة زراعية مشتركة بين دول السوق.

سابعاً: ضمان المنافسة الحرة في السوق المشتركة:

فلا شك أن إلغاء الرسوم الجمركية ورفع قيود الكمية بين دول السوق والتنسيق فيما بينها بشأن تسهيلات النقل ووضع تعريفه جمركية موحدة في مواجهة الواردات الأجنبية ، كل ذلك ضمن المنافسة الحرة بين دول السوق المشتركة، ومع ذلك تضمنت المعاهدة عدة مبادئ

آخري تضمن عدم قيام الحكومات بأيه أعمال تقيد المنافسة أو تعمل علي اضطراب التجارة، من هذه المبادئ ما يلي :

١- حظر المساعدات الحكومية للمشروعات إذا كانت تخل بالمنافسة الحرة، تدريجياً خلال الفترة الانتقالية ، ويستثني من المساعدات تلك المعطاة، تعويضاً عن خسائر الكوارث الطبيعية أو تنمية المشروعات، التي يعول عليها تصحيح اختلال التوازن في اقتصاد احدي دول السوق، أو دفع عجلة التنمية في المناطق المختلفة.

٢- منع عقد أية اتفاقيات بين المشروعات تهدف إلى منع المنافسة أو الحد منها وكذلك منع أية قرارات لاتحادات المشروعات تؤدي إلى نفس الغرض

٣- يحظر علي الدول الأعضاء التمييز في فرض الضرائب بين المنتجات المحلية وتلك الواردة من الدول الأعضاء كما يحظر تقديم عون غير مباشر للمنتجات المحلية كان تعفي من الرسوم الجمركية المقررة عند تصديرها.

٤- مكافحة سياسة إغراق السوق ببيع السلع في خارج السوق بأقل منها في الداخل.

ثامناً: معالجة الخلل في موازين مدفوعات أعضاء السوق:

حيث نصت المادة ١٠٤ من المعاهدة علي ضرورة تنسيق السياسات النقدية بين الدول الأعضاء والحفاظ علي التوازن في ميزان المدفوعات ودعم الثقة في العملات المحلية.

تاسعاً: تحسين الأحوال الاجتماعية للعمل:

وذلك بإنشاء صندوق اجتماعي تابع السوق يساهم في توفير فرص عمل في دول السوق ورفع كفاءتها بالمساهمة بنسبة ٥٠% من تكاليف تدريب العمال، وذلك بناء علي طلب أي من دول السوق.

عاشراً: تدعيم الاستثمار في المناطق المختلفة داخل دول السوق:

فقد نصت المادة ١٢٩ علي إنشاء بنك استثماري أوربي برأسمال قدرة ألف مليون دولار أمريكي، وحددت مهامه في تمويل المشروعات

الضـرورية فـي المنـاطق المتـأخرة اقتصـادياً فـي دول السـوق وكـذلك المشـروعات الكبـرى التـي يعجـز الأعضـاء عـن تمويلهـا تمـويلاً كـاملاً والمشروعات التي يعجز الأعضاء عن تمويلها بالموارد المتاحة لدي الأعضاء .

هيئات السوق الأوربية:

٣- مجلس الوزراء:

وقد اختيرت بروكسيل (بلجيكا) مقراً لمجلس الوزراء المشكل في البداية من ستة أعضاء يمثل كل دول عضو واحد يتمثل في وزير الخارجية أو من ينوب عنه، وللمجلس حق إصدار القرارات التي يراها مناسبة لتحقيق التناسق بين السياسات الاقتصادية للدول الأعضاء، وفق نصوص معاهدة السوق، وللمجلس أيضاً حق دراسة المقترحات المقدمة من المجلس التنفيذي وإصدار قرارات بشأنها، وللمجلس حق التصديق علي الميزانية.

ظلت قرارات المجلس تؤخذ بالإجماع طوال الفترة الانتقالية ، ثم أصبحت تؤخذ بالأغلبية بعد انقضاء الفترة الانتقالية اللهم إلا في حالات معينة استمر فيها الإجماع ، مثل قبول دولة أوربية عضواً جديد في السوق الأوربية المشتركة، والجدير بالذكر أنه كان هناك تفاوت في عدد الأصوات الممنوحة في مجلس الوزراء لكل بعضو، وذلك حسب قوة الدولة داخل السوق، ففرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا كان لكل منهم عشرة أصوات، ولكل من بلجيكا وهولندا خمسة أصوات، أما الدانمرك وايرلندا فلكل ثلاثة أصوات.

٢- اللجنة التنفيذية:

كـان مقرهـا بروكسـيل أيضـاً، وهـي هيئـة مسـتقلة بـذاتها عـن الحكومات، تقوم بتنفيذ المعاهدات وقرارات مجلس الوزراء وتقدم للمجلس اقتراحات وتوصيات، وللّجنة حق إصدار قرارات بأغلبية الأصوات في الأمور التي لا تخص السياسة العامة لدول السوق، وعلي اللجنة أن تصدر تقريراً سنوياً عن أعمال السوق الأوربية المشتركة وقد اسند إلى مهامهـا أيضـاً المهـام الخاصـة بجماعـة الفحـم والصـلب والمجموعـة

الأوربية للطاقة الذرية، أما أعضاؤها ورئيسها فكان تعيينهم باتفاق حكومات الدول الأعضاء .

٣- البرلمان الأوربي:

يتكون البرلمان الأوربي من عدد من الأعضاء ، وصل عام ١٩٧٨ (١٩٨) عضواً يتم اختيارهم من أعضاء برلمان الدول المشتركة في السوق، وفي عام ١٩٧٩ حدث تعديل حيث أضحي اختيار الأعضاء بالانتخاب المباشر علي مستوي دول السوق، وزاد عدد الأعضاء إلى ٤١٠ عضو ويعقد المجلس في ستراسبورج (بفرنسا)

ويقوم البرلمان بمراقبة أعمال السوق الأوربية المشتركة ومناقشتها، وله حق الإشراف علي الميزانية ولكن بصفة استشارية، فيما عدا النفقات الاختيارية وهي تعادل١: ٥ من الميزانية فله الحق في إصدار قرارات بشأن توجيهها، وله حق مناقشة مجلس الوزراء، وله سلطة سحب الثقة من اللجنة التنفيذية بأغلبية ثلثي الأعضاء ، كما أسندت إليه عملية الإشراف علي أعمال مجموعة الفحم والصلب والمجموعة الأوربية للطاقة الذرية.

٤- محكمة العدل الأوربية:

تعين الحكومات الأعضاء في السوق قضاة ومحامين عامين من ذوي الخبرة والكفاءة واستقلال الرأي، ويختار القضاء من بينهم رئيس لمحكمة العدل ومقرها لكسمبورج- وهي دولة قزمية في وسط أوربا - وتعمل محكمة العدل علي تحقيق العدل في تفسير بنود المعاهدات وتطبيقها وقد أسندت إلى المحكمة أيضاً الأمور المتعلقة بالجماعة الأوربية للفحم والصلب والمجموعة الأوربية للطاقة الذرية وهي محكمة شاملة الاختصاص، فلها حق نظر القضايا المتعلقة بالأمور الدستورية والإدارية والجنائية وحقوق العمال المدنية

٥- الميزانية:

نصت المادة ٢٠٠ من معاهدة روما علي أن يساهم الأعضاء في ميزانية السوق بنسب مختلفة تتفاوت من دولة إلى آخري حسب عدد سكانها ووزنها الاقتصادي ومدي استفادتها من مصروفات الميزانية

فساهمت ألمانيا الغربية بنصيب كبير بلغ حوالي ٢٩,٥٠% وتلتها المملكة المتحدة وفرنسا ولكل ١٨% ثم إيطاليا ١٣% بينما قل نصيب الدانمرك إلى ٣% فقط واستمر هذا النظام معمول به حتى عام ١٩٧٠، عندما قرر مجلس وزارة السوق- استناداً إلى المادة ٢٠١ إيجاد موارد خاصة للسوق لمواجهة جميع نفقاته الخاصة واعتمدت علي حصيلة الضرائب الجمركية المفروضة علي الواردات علي أن تستكمل الدول الأعضاء حاجة الميزانية التي لم تغطها الموارد الجمركية وكانت بريطانيا حاجة الميزانية التي لم تغطها الموارد الجمركية كانت بريطانيا أكثر الدول المساهمة في الميزانية دون أن تستفيد منها، لذا طالبت بريطانيا بتخفيض نصيبها في الميزانية دون أن تستفيد منها، لذا طالبت بريطانيا بتخفيض نصيبها في الميزانية إلى ٧١٥ مليون دولار.

وكادت أن تحدث أزمة بين بريطانيا وباقي دول السوق عام ١٩٨٠ عندما رفض مجلس الوزراء الاستجابة لطلبها، فطالبت المعارضة البريطانية بالانسحاب من عضوية السوق وطالب المعتدلون بتجميد العضوية، غير أن الطرفين توصلاً إلى حل للمشكلة بخفض مساهمة بريطانيا في الميزانية.

الانتساب إلى السوق الأوربية المشتركة:

نصت المادة ٢٣٨ من معاهدة روما علي حق السوق في أن يقعد اتفاقيات مع دولة آخري أو اتحاد دولي أو هيئة دولية بهدف وضع روابط تضمن التزامات وأعمال مشتركة وتطبيقاً لهذه المادة أنشأت السوق علاقات مع بعض الدول الأخرى منها علاقات انتساب إلى السوق لدول أوربية ودول آخري غير أوربية.

من الدول الأوربية التي انتسبت إلى السوق اليونان سنة ١٩٦١ وتركيا سنة ١٩٦٣ وقبرص ١٩٧٢ ومالطة ١٩٧١ ولكن إذا كانت الدول سألف الذكر أوربية فلماذا لا تلتحق بالسوق مباشرة؟! من المعروف أن دول السوق تتقارب فيما بينها اقتصادياً، وقد مرت بمرحلة انتقالية إلى أن أصبحت في مستوي يكاد يكون واحد عند بداية عام ١٩٧٠ أما الدول الأربع سالفة (تركيا واليونان وقبرص ومالطة) فهي

دولـة أوربيـة ناميـة، ولتحديـد ألفـارق يكفـي أن نعـرف أن أغنـي البلـدان الأربع وهي اليونان– وقت انتسابها– كان متوسط دخل ألفرد فيها ٣٦٤ دولار في حين بلغ دخل ألفرد في دول السوق آنذاك ٩١٧ دولار والدول الأربع دول زراعية لا تتحمل أعباء اتفاقيات السوق، ومن ثم فالأنسب لها هي أن ترتبط بدول السوق اقتصادياً بعلاقة انتساب، تحقق لها تقدماً اقتصادياً وتضمن لسلعها فتح أسواق الدول الأعضاء في السوق دون حدوث كوارث اقتصادية .

وإذا أخذنا اليونان مثالاً لانتساب دولة أوربية إلى السوق الأوربية المشتركة نجد أن اليونان كانت أول دولة تنتسب إلى السوق ، وذلك في عام ١٩٦١ عندما وقعت اتفاقية انتساب علي أن تكون سارية المفعول من أول نوفمبر ١٩٦٢ وتقضي الاتفاقية بإنشاء اتحاد جمركي بشكل تدريجي بين اليونان ودول السوق الأوربية، إضافة إلى بعض التدابير للتنسيق في السياسات الاقتصادية بين الجانبين حيث تمتعت صادرات اليونان إلى دول السوق بتخفيضات في الرسوم الجمركية بدأت عند تنفيذ الاتفاق بـ٥٠% وتدريجياً تحصل صادرات اليونان إلى دول السوق علي الإعفاء الكامل فتعامل نفس معاملة دول السوق أما بالنسبة لصادرات السوق إلى اليونان فللأخيرة الحق في حماية منتجاتها، حيث اقتصرت تخفيضات الرسوم الجمركية علي ٢٠% فقط علي أن تلغي هذه الرسوم تدريجياً في مدة لا تتجاوز اثني وعشرين عاما بعدها تطبق اليونان التعريفة الجمركية الموحدة مثل دول السوق وتعهدت السوق بأن تمنح اليونان إعانة مالية قدرها ١٢٥ مليون دولار خلال خمس سنوات عن طريق بنك الاستثمار الأوربي ثم تقدمت اليونان بطلب عضوية للسوق وبعد إلحاح شديد قبلت دول السوق عضوية اليونان.

أما بالنسبة لاتفاقيات الانتساب بين السوق الأوربية والدلو غير الأوربية فقد كان محدداً بمدة معينة تنتهي بعدها العلاقة إلا إذا تم تجديدها باتفاق آخر بدأ هذا النوع من اتفاقيات الانتساب باتفاقية ياوندي الأولى في ٢٠ يوليو ١٩٦٣م والتي دخلت حيز التنفيذ في أول يونيو ١٩٦٤ وضمت ثماني عشرة دولة افريقية وهي دول ذات علاقة

بـدول السـوق الأوربيـة وكانـت وقـت توقيـع اتفاقيـة رومـا فـي طريقهـا للاسـتقلال ومـدة اتفـاق خمـس سـنوات وفـي ١٩ يوليـو ١٩٦٩ عقـدت اتفاقية ياوندي الثانية لمدة خمس سنوات آخري وفي عام١ ٩٧٥ عقدت اتفاقية لومي الأولي، حيث زاد عدد الدول النامية المنتسبة إلى السوق، فوصـل إلـى ٤٦ دولـة مـن أفريقيـا ودول البحـر الكـاريبي ودول المحـيط الهادي، وفي عام ١٩٧٩م عقدت اتفاقية لومي الثانية، حيث وصل عدد الدول النامية غير الأوربية والمنسبة للسوق التي ستين دولة وفي عام ١٩٨٤ عقدت اتفاقية لومي الثالثة والتي بمقتضاها وصل عدد الدول غير الأوربية منتسبة للسوق إلى خمس وستين دولة.

وتتمتـع الـدول الناميـة غيـر الأوربيـة المنتسـبة للسـوق الأوربيـة بالإعفاء الجمركي علي سلعها عند دخول إلى دول السوق العكس غير صحيح، فلتلك الدول مطلق الحرية في حماية منتجاتها المحلية بفرض مـا تـاه مـن رسـوم علـي واردات القادمـة حتـى مـن دول السـوق الأوربيـة وذلك لحماية الصناعات الناشئة في تلك الدول.

وتعمـل السـوق علـي حمايـة المنتجـات الرئيسـية فـي الـدول الناميـة المنتسبة وذلك بتثبيت أسعار عدد من هذه السلع، فتحميه من تقلبات السوق العالمية كما تهتم السوق بمشروعات التنمية البنية الأساسية في الدول المنتسبة فتقوم بتمويل كثير من هذه المشروعات.

وقـد ارتبطـت السـوق الأوربيـة المشـتركة ببـاقي الـدول الأوربيـة باتفاقيـات اتحـاد جمركـي، كمـا ارتبطـت بالـدول الناميـة غيـر المنتسـبة باتفاقيـات مـن نـوع آخـر، كمـا حاولـت تطبيـع العلاقـات الاقتصـادية مـع دول الكوميكون (٧٧-١٩٨٠) غير أنها فشلت وحققت السوق الأوربية أهدافها في إزالة الخلافات الأوربية بين دول السوق وإيجاد وحدة تمثل تكتلا اقتصادياً له وزن على الساحة الدولية، وتحاول الدول الأوربية أن يكون لها وجود سياسي مماثل إزاء القضايا الدولية، وإن كانت الولايات المتحدة لن تسمح لها بذلك إلا في نطاق محدود.

الفصل السابع

أوربـــا

الستار الحديدي:

عندما يفشل الساسة في حل المنازعات سلمياً فإنهم يسلمون مقاليد الأمور للعسكريين لتكون الكلمة للمدفوع، وغالبا لا تتفق المقدمات مع النتائج في الحروب الكبرى ، فإذا كان الدخول في الحرب أمر سهل فإن الخروج منها صعب للغاية، ودائماً يتولى المنتصرون صياغة النتائج بالطريقة التي تروق لهم، فعقب الحروب النابليونية حاولت أوربا

قص أجنحة فرنسا، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى قرر المنتصرون سحق ألمانيا وتمزيق أوصالها بما يؤمن جيرانها بعد ذلك وإذا كانت تسويات فينا ١٨١٥ قد نجحت في أبعاد شبح حرب عن القارة ما يربو علي نصف قرن فأن مؤتمرات الصلح عام ١٩١٩ لم تبعد شبح الحرب عن أوربا أكثر من عشرين عاماً.

وكان طبيعياً أن يحاول ساسة الحلفاء التوصل إلى تسوية في أعقاب الحرب العالمية الثانية تعيد صياغة خريطة أوربا بشكل يمنع ظهور شبح الفاشية والنازية مرة آخري، غير أن هذه التسوية لم تخرج إلى حيز الوجود، حيث انقسم المنتصرون علي أنفسهم لأول مرة، قبل عقد أي تسوية عامة ، فإذا كان الخوف المشترك من الأطماع النازية والفاشي قد جمع الرأسمالي ين والشيوعيين في معسكر واحد، فسرعان ما ظهرت ألفوارق عقب زوال هذا الخطر، والآخر اشتراكي يقوده الاتحاد السوفيتي ليبدأ من أرض المعركة ألمانيا أول فصول الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي.

والحقيقة أن الاتحاد السوفيتي لم ينس نشر أيديولوجيته في الأقطار التي وقعت تحت نفوذه إبان الحرب العالمية الثانية، واضطرت بريطانيا إلى مجاراته فعقدت معه اتفاق سري لتحديد مناطق النفوذ (في مايو ١٩٤٤) انفرد الاتحاد السوفيتي بالعمل بمقتضاها في بلغاريا ورومانيا وانفردت بريطانيا بالعمل في اليونان ويوغوسلافيا، وعندما اعترضت الولايات المتحدة بالعمل علي اليونان ويوغسلافيا، وعندما اعترضت الولايات المتحدة علي هذا الاتفاق أوضح تشرشل أن الاتفاق لمدة ثلاثة اشهر فقط، والحقيقة أن بريطانيا لم تعارض نمو النفوذ السوفيتي في شرق أوربا ألفقير علي أن يبعد عن المناطق الساحلية، وهي إستراتيجية بريطانيا قديمة، فهي لا تهتم بشرق أوربا الذي ورث الفقر منذ القدم بسبب تأخره عن حركة الكشوف الجغرافية، فلم يستفد من نمو الطبقة البرجوازية.

وعندما زار تشرشل موسكو (أكتوبر ١٩٤٤) لبحث مستقبل البلقان أوضح أن يكون للاتحاد السوفيتي نصف يوغوسلافيا و ٩٠% من رومانيا و ٧٥% من بلغاريا و ١٠% من المجر ويكن للحلفاء باقي

النفوذ في منطقة البلقان وعلي الرغم من عدم التوقيع علي اتفاق بهذا المعني إلا أن ما تم بالفعل – دون اتفاق – كان قريباً من هذا، فيما عدا يوغوسلافيا، بسبب قوة إتباع الحزب الشيوعي بقيادة تيتو في المقاومة، ثم مساندة الاتحاد السوفيتي له بعد انحصار النفوذ الفاشستي والنازي، فيما يرمي إليه من أطماع علي حساب إيطاليا في وتصدي تيتو لقوات الحلفاء عند حدود إيطاليا، مستنداً علي الاتحاد السوفيتي.

أما بالنسبة لبولندا فلم يتطرق إليها الاتفاق، غير أن القوات السوفيتية في بولندا ساند الحزب الشيوعي، بعد أن تحول الاتحاد السوفيتي من مرحلة الدفاع إلى الهجوم وحاول الاتحاد السوفيتي نقل السلطة الشرعية إلى هيئة شيوعية بولندية تنافس حكومة المنفي في لندن ذات الميول الرأسمالية وما لبثوا أن اعترفوا بهذه الهيئة حكومة مؤقتة لبولندا، ونجوا في إزاحة الألمان من وارسو في يناير ١٩٤٥ وتسلمتها الحكومة المؤقتة ونشب علي أمر ذلك خلاف حاد بين الولايات المتحدة وبريطانيا من جهة والاتحاد السوفيتي من جهة آخري.

فبريطانيا تعتبر نفسها دخلت الحرب من اجل الحفاظ علي استقلال بولندا أما الاتحاد السوفيتي فينظر لبولندا علي أنها كانت معبراً لاحتلاله مرتين في بداية الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، وعلي ذلك فلابد من أن تكون حكومة هذا البلد حكومة صديقة، ثم اتفق بعد ذلك أن تضم الحكومة الاشتراكية عناصر من حكومة المنفي، وأن استأثرت الحكومة الاشتراكية بالمناصب السيادية.

وأوضح ستالين لحكومة واشنطن أن بلاده قدرت أهمية فرنسا وبلجيكا واليونان لبريطانيا لذا غضت الطرف عن تشكيل الغرب للحكومات في تلك البلدان، كما أن بولندا ضرورية لأمن الاتحاد السوفيتي أما بالنسب لإيطاليا فقد نجت بنفسها من براثن الاتحاد السوفيتي حيث أعلنت الحب علي الحلفاء لذا عقدت حكومتها اتفاق مع الحلفاء وتكفلت بدفع غرامة مالية وتقلصت قدراتها العسكرية، لكنها حافظت علي استقلالها إلى حد كبير وتثبتت حكوماتها المتعاقبة بأذيال الغرب قسمت ألمانيا كما ذكرنا من قبل إلى قسمين شرقي تابع للاتحاد السوفيتي وغربي تابع للولايات المتحدة وحليفاتها.

وفرض الاتحاد السوفيتي أيديولوجيته علي بلغاريا التي حاولت الاتفاق مع بريطانيا والولايات المتحدة ، فاحتل الاتحاد السوفيتي أراضيها وإرغامها علي توقيع هدنة معه، ثم تكونت حكومة ائتلافية سيطر عليها الشيوعيين، أما رومانيا فقد أعلنت قبولها عقد هدنة مع الاتحاد السوفيتي عندما دخلت قواته أرضيها لمطاردة الألمان، قامت حكومة ائتلافية سيطر عليها الشيوعيين، أما رومانيا فقد أعلنت قبولها عقد هدنة مع الاتحاد السوفيتي عندما دخلت قواته أرضيها لمطاردة الألمان، وقامت حكومة ائتلافية سيطر عليها الشيوعيون أيضاً، واختلف الوضع بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا، حيث تمتع رئيس حكومتها إدوارد بنيش– في المنفي– بثقة السوفيت لأنه كان اشتراكي معتدل يؤمن بجدوى التعاون مع السوفيت، وفي ألبانيا تزعم أنور خوجا حركة شيوعية مستندة إلى حركة تيتو، تسلم مقاليد الحكم بعد خروج ألمان ودخل المعسكر الشيوعي، ولحقت المجر بكل من رومانيا وبلغاريا حيث قامت حكومة ائتلافية سيطر عليها الشيوعيين، ثم انتقلت إلى المعسكر الشيوعي بصفة نهائية في مارس ١٩٤٨م.

وأخذت الأحلاف طريقها إلى دول أوربا الشرقية، فعقدت العديد من الاتفاقيات الثنائية فيما بينها بداية من عام ١٩٤٦م وتنص جمعيها علي التعاون المشترك في جميع المجالات،بما في ذلك المجال العسكري حيث عين جنرال سوفيتي وزيراً للدفاع البولندي عام ١٩٤٩ تتناسى بنود معاهدات الصلح، وبخاصة ما يتعلق منها بتحديد عدد الجيش وتزعم الاتحاد السوفيتي دول أوربا الشرقية في اجتماعات للاحتجاج علي الإجراءات التي يتخذها الغرب مثل إعلان دول ألمانيا الغربية وتوجت هذه الاجتماعات في مايو ١٩٥٦ بإعلان حلف وارسو،رداً علي سياسة الأحلاف الغربية، تكون الحلف من ثماني دول هي الاتحاد السوفيتي وألمانيا الغربية وبولندا وروما وألبانيا والمجر وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا.

وهكذا انقسمت أوربا انقساما عبر عنه السياسي القدير تشرشل عام ١٩٤٦ عند زيادته للولايات المتحدة قائلاً لقد خيم ظل حديدي في وسط أوربا امتد من بحر البلطيق إلى شمالي بحر الأدرياتيك، وقعت

العواصم الكائنة إلى الشرق من هذا الستار تحت التأثير السوفيتي، وليست هذه الصورة التي حاربنا من اجلها.

خريطة أوربا سياسية بعد أن استقرت إبان الحرب الباردة

الغرب وسياسة الاحتواء:

لم يتوقف نشاط السوفيت علي شرق أوربا، وإنما توسعت دائرة النشاط السوفيتي لتشمل كل ما هو ممكن علي مستوي العالم في الشرق الأوسط والأقصى وامتدت اللمسات الحانية للكرملين إلى الأحزاب الشيوعية الناشئة في دول العالم الثالث، حيث طرح الاتحاد السوفيتي فكرة الاعتماد علي ثلاث قوي ثورية هي النظام الاشتراكي العالمي والحركة العمالية العالمية، إضافة إلى حركات التحرر الوطني، علي أساس التحالف بين هذه القوي الثلاث لإضعاف أماكن وجود الامبريالية

والنمو المتزايد علي حسابها، الأمر الذي ولد مخاوف كبيرة لدي الولايات المتحدة .

وتولد اتجاه قوي لدي الولايات المتحدة بتوجيه ضربة نووية للاتحاد السوفيتي غير أن جورج كينان– خبير الشئون السوفيتية في الولايات المتحدة– تبني سياسة جديدة هي سياسة الاحتواء Containment Policy حيث شبه كينان العمل السياسي السوفيتي بأن مثل النهر الذي يتدفق باستمرار، لكنه يضطر إلى التوفيق إذا اعترضته موانع قوية، ويقبل كينان في نظريته الأمر الواقع، فهو يري أن الاتحاد السوفيتي ليس عدوانياً مثل النازيين أو الفاشست وأنهم يتبعون سياسة النفس الطويل، فليس لديهم جدول زمني لتنفيذ سياستهم، ولما لا طالما أن النصر سيكون حليفهم في النهاية .

تبني الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) تنفيذ سياسة الاحتواء، وقد صاغ ترومان مدخل سياسته في شكواه من الاحتكار الذي يمارسه الاتحاد السوفيتي وأعوانه علي التجارة الدولية فأوضح أن سيطرة الحكومة علي التجارة الخارجية ورسم خطط الاقتصاد فأنها تقيد حرية الاقتصاد وهذا هو طابع الامبريالية في القرون السالفة، وإذا لم نتحرك فسيكون طابع هذا القرن، أيضاً وأن حكومة الولايات المتحدة تجد نفسها في مثل هذه الظروف مضطرة لاستخدام نفس الأسلوب للحصول علي الأسواق والمواد الخام، وهو تصريح خطير صادر من دولة تسيطر علي ثلاثة أرباع ثروة العالم، وفي ١٢ مارس ١٩٤٧ أصدر الرئيس الأمريكي مبدأه– مبدأ ترومان – الذي أوضح أن سياسة الولايات المتحدة هي نجدة الشعوب الحرة التي تقاوم الاستبداد الذي تفرضه الأقليات المسلحة أو القوي الخارجية أو بمعني آخر التحدي لجميع أنواع الثورات في العالم وبذلك أعلنت الولايات المتحدة استعدادها للتدخل في أي بلد ومقاومة التدخل السوفيتي بالقوة المسلحة حيثما كان.

وفي إطار سياسة الاحتواء الجديد عقدت الولايات المتحدة سلسلة من المعاهدات بدأت ها في ٨ إبريل ١٩٤٩ بمعاهدة حلف شمال الأطلنطي North Atlantic Treaty Organization والذي ضم بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبورج والدانمرك والنرويج وأيسلندا

والبرتغال وإيطاليا وكندا ثم انضمت بعد ذلك اليونان وتركيا في فبراير ١٩٥٢م وفي سبتمبر ١٩٥١ أبرمت الولايات المتحدة حلف انزوس Anzus مع استراليا ونيوزيلاندا وتعتمد سياسة الاحتواء علي قدرة السلاح الجوي الأمريكي وقد ترجمت الميزانية الأمريكية هذا التوجه حيث زادت نفقات السلاح الجوي علي حساب ميزانية الجيش.

وكانت الحرب الكورية محكاً عملياً لسياسة الاحتواء، وحيث تكررت مأساة ألمانيا في شبة الجزيرة الكورية التي انقسمت إلى كوريا جنوبية مدعمة من جانب الولايات المتحدة وآخري شمالية مؤيدة من جانب الاتحاد السوفيتي، الذي قام بتدريب قواتها وتسليحها قبل إخلاء الميدان، وحرضها علي شبه حرب وقائية ضد كوريا الجنوبية في يونيو ١٩٥٠ وجاء تدخل الولايات المتحدة لإعادة الحدود عند خط التقسيم (خط عرض ٣٨ ش) وعندما حققت أنصاراً ووصلت إلى الخط المذكور غيرت سياستها وقررت توحيد كوريا، الأمر الذي أزعج الصين الشعبية (الشيوعية) فدفعت بقواتها علي هيئة متطوعين في صفوف كوريا الشمالية، فحققت انتصارات سريعة علي حساب القوات الأمريكية ، هددت القيادة الأمريكية باستخدام السلاح النووي ضد العين والاتحاد السوفيتي وحاولت أن تحصل من الأمم المتحدة علي تصيح بذلك إلا أن حلفائها في أوربا الغربية رفضوا بشدة، وكانت هذه الهزة كفيلة بإسقاط الحزب الديمقراطي في الانتخابات الأمريكية عام ١٩٥٢م، وجاءت بالحزب الجمهوري المعارض، فكان ذلك نذيراً بإنهاء سياسة الاحتواء، وانتهت الحرب الكورية في عام ١٩٥٢ بإعادة تقسيم كوريا وبخسائر أمريكية كبيرة بلغت ١٧٣,١٤٤ قتيلاً.

إستراتيجية الانتقام الشامل:

إذا كانت الولايات المتحدة قد اعتمدت الحرب المحدودة في كوريا، فأن الإدارة الجديدة ممثلة في الرئيس أيزنها ور والحرب الجمهورية الانتقام الشامل Massive Retaliation لمواجهة النشاط الشيوعي في

إطار الحرب الباردة، وذلك لتفادى الأخطار التي تعرضت لها الحكومة السابقة والتي بلغت ذروتها في المكارثية.(•)

وبقيت الروح المتطرفة التي تدعو إلى اتخاذ سياسة متشددة ضد الشيوعية، فاتسع نطاق الاحتواء ولم يعد علي الدول المحيطة بالاتحاد السوفيتي وإنما امتد ليشمل جميع أنحاء العالم وبخاصة الشرقيين الأقصى والأوسط.

وفي إطار الإستراتيجية الجديدة وقعت الولايات المتحدة حلفاً مع كوريا عام ١٩٥٣م ودفعت باكستان إلى عقد حلف بينهما في فبراير ١٩٥٤ ، كما وقعت حلفاً آخر مع باكستان في مايو ١٩٥٤ ثم أنشأت خلف جنوب شرق أسيا SLATO سبتمبر ١٩٥٤ ليضم كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلاندا والفلبين وتايلاند وتركيا وإيران والعراق وباكستان فاكتملت حلقات حلف جنوب شرق آسيا بحلف بغداد وحلف شمال الأطلنطي وهي أحلاف ذات إستراتيجية عسكرية مشددة، واعتقدت الولايات المتحدة أن هذه الإستراتيجية تمنع تكرار الحرب الكورية كما تمنع احتمال قيام مثل هذه الحروب المحدودة.

وإذا كانت كويا قد مثلت ميدان اختبار لسياسة الاحتواء فأن الهند الصينية مثلت ميدان اختبار لإستراتيجية الانتقام الشامل، حيث أيدت الحكومة الأمريكية الوجود الفرنسي تأييداً كبيرا فتحملت الأعباء المالية وقدرها ٧٨٥ مليون دولار، خوفاً من التسلسل الشيوعي من الصين عقب سقوط الهند الصينية – إلى بورما وتايلاند والملايو وإندونيسيا وتطويق الهند، وامتداد الخطر إلى استراليا ونيوزيلاندا والفلبين واليابان وفرموزا، وحاولت الولايات المتحدة أن تكتفي بتقديم المساعدات المالية فقط لفرنسا وتتجنب تورط في حرب محدودة آخري في الصين الهندية.

(•) المكارثية: نسبة الي السيناتور جوزيف مكارثي الذي اكتسب شهرة كبيرة في عام ١٩٥٠ وما بعدها بسبب حملاته علي وزارة الخارجية الأمريكية واتهامه لها بأنها مليئة بالشيوعية ومحبيها، وبلغت ذروة المكارثة عام ١٩٥٤م كما زاد عدد المتهمين بموالاة الشيوعية حتى تكونت لجنة من أعضاء مجلس الشيوخ للتحقيق في الاتهامات التي كان يرددها مكارثي، وانتهت القضية حين شكلت لجنة من مجلس الشيوخ أوصيت بتوجيه اللوم إلي مكارثي وإغلاق ملف القضية.

وفـي ظـل إسـتراتيجية الانتقـام الشـامل تغيـرت واجهـة الولايـات المتحدة لدي حلفائها فوصفها الصحافة البريطانية بأنها أصبحت كابوس لحلفائها وأصبحت كثير من دول العالم تضعها مع الاتحاد السوفيتي في مرتبة واحدة من حيث تهديد الأمن الدولي وأنهما يقفان حجر عثرة في طريـق التقـدم السـلمي للبشـرية، الأمـر الـذي رفـع صـانعي القـرار فـي الولايات المتحدة إلى تخفيف حدة لهجة الانتقام الشامل فصرح أيزنهاور في ٢٠ أكتوبر ١٩٥٤ قائلاً أيها الأصدقاء لقد وصلنا إلـى مرحلـة لـم تعد تحقق الحرب فيها انتصارا أو هزيمـة لطرف أو لآخر، أن الحرب لن تقدم سوي درجات متفاوتة من التدمير ولن ينتج عنها أي انتصـار وبـدأت تبـرز فـي الـدوائر العسـكرية الأمريكيـة ولـدي الـرأي العـالم نظريتان جديدتان في وجه إستراتيجية الانتقام الشامل، النظرية الأولـى أوضحها جورج كنيان "بأن عهد الحرب الشاملة قد انتهي وأن العمليات العسكرية المحدودة هي التي يمكن اللجوء إليها لتحقيق أغراض محدودة والنظريـة الثـاني متعلقـة بـالأولى وتقضـي بضـرورة تكـوين قـوات عسـكرية تقليدية لخوض الحروب المحدودة.

وفي يناير ١٩٥٥م أقرت المناقشات التي دارت في مجلس الأمن القومي الأمريكي بعدم جدوى الاعتماد علي إستراتيجية الانتقام الشامل فـإذا وقـع عـدو أن فـي أي مكـان يهـدد المصـالح الأمريكيـة أو النظـام الرأسـمالي يصـبح علـي الأمـريكيين الاختيـار بـين أمـرين عمـا الإذعـان والرضـوخ للأمـر الواقـع، وأمـا شـن حـرب شـاملة بأسـلحة ذريـة أو هيدروجينيـة وكلاهمـا لا يحقـق النتـائج المرجـوة، ومـن ثـم لابـد أن يكـون للولايـات المتحـدة قـوات تقليديـة خفيفـة سـريعة الحركـة، مسـتعدة لمواجهـة الحرب المحدودة.

الحرب المرنة:

لعل أهم العوامل التي دفعت الولايات المتحدة إلـى تبنـي إسـتراتيجية الانتقـام الشـامل هـو شـعورها بـالتفوق فـي المجـال الـذري لـذا لـم تعـر الولايـات المتحـدة التفجيـرات النوويـة السـوفيتية عـام ١٩٤٩ أي اهتمـام علي اعتبار أنها مجرد تجارب، وبعد نجاح الاتحاد السوفيتي في تفجير قنبلة هيدروجينية في أغسطس سنة ١٩٥٣م وإطلاق أول قمر صناعي

سوفيتي في أكتوبر ١٩٥٧م تأكدت الولايات المتحدة أن تفوق الاتحاد السوفيتي في المجال النووي أمر جد وليس بالهزل، وإذا كانت الولايات المتحدة قد عملت علي تطوير استخدام الأسلحة الذرية الهجومية وقاذفات القنابل الإستراتيجية فقد حقق الاتحاد السوفيتي تقدماً كبيرا في إنتاج الصواريخ المضادة لهذه الطائرات والصواريخ العابرة للقارات. ومن ثم لم يعد التهديد بالانتقام الشامل أمر مجدي، لأن الجانب الآخر أصبح قادراً علي استخدام نفس السلاح، إضافة إلى نجاح حركات التحرر الوطني في التخلص من الاحتلال البريطاني والفرنسي (الغربي) واعتناق كثير منهم للاشتراكية، ناهيك عن ارتفاع نجم الشيوعية علي يد الأحزاب في دول أوربا الغربية ونجاح التجربة الاشتراكية في الصين.

وقد توصل الجنرال ماكسويل تيلور إلى إستراتيجية جديدة هي الحرب المرنة وهي مرحلة تجمع بين مزايا الحرب الذرية المحدودة وإستراتيجية الانتقال الشامل وتتخلص من مساوئهما فقد توصل ماكسويل إلى أن أي من المعسكرات لن يستطيع اللجوء إلى حرب شاملة، حيث أبعدت الأسلحة الذرية خطة الحرب الشاملة ترتب علي ذلك أن أي من الطرفين يقبل استفزازات الطرف الآخر، ولن يتعدى الأثر وقوع اشتباكات عسكرية في أضيق نطاق وعلي هذا الأساس قدم ماكسويل برنامج عسكري مرن تناول مسألتين هما الدفاع عن أمن الولايات المتحدة وحلفائها ومواجهة حركات التحرر الثورية (وطني واشتراكية) في جميع أنحاء العالم. حدد ماكسيل حالات استخدام الأسلحة الذرية بوقوع هجوم ذري علي الولايات المتحدة أو حلفائها في أوربا أو عند التيقن من نية العدو في شن هذا الهجوم ، وهو أمر يتطلب تطوير لقدرات الولايات المتحدة في المجال النووي، والصواريخ عابرة القارات التي تفوق فيها السوفييت، وإنتاج صواريخ مضادة للصواريخ السوفيتية، بحيث يكون لدي الولايات المتحدة القدرة علي استيعاب الضربة الأولى والرد بضربة مدمرة، وهذا يتعلق بالجانب الدفاعي.

أما بالنسبة لمواجهة الحرب المحدودة التي تشعلها الحركات الثورية فطالب تيلور بتنظيم قوات تقليدية ترابط في الولايات المتحدة من

الجيش والبحرية والطيران تكون تحت قيادة موحدة تشرف علي تدريبها وتنسيق عملها، مع تخصيص وحدات طيران خاصة لنقلها عن اللزوم إلى أي مكان، مع تزويدها بأسلحة ذرية صغيرة جداً لاستخدامها عند اللزوم وتكون مهمتها مواجهة الحركات الثورة والقضاء عليها بما في ذلك أيه معارك محدودة يقوم بها الشيوعيون في مناطق النفوذ الغربية، واقتراح ماكسويل اعداد قوات مماثلة فيما وراء البحار.

وطالب ماكسويل بالقيام بمظاهرات استعراضية لهذه القوت في مناطق مختلفة من العالم، فسيكون لذلك آثره البالغ في تثبيت أصدقاء الولايات المتحدة وإرهاب أعدائها.

ومع بداية عام ١٩٦١ وصل الرئيس جون كنيدي إلى الحكم، فأختار ماكسويل تيلور رئيساً لهيئة أركان حرب القوات المسلحة لتنفيذ إستراتيجية الحرب المرنة، وقام بتطوير وحدات الجيش والبحرية وسلاح الجو وأفرادهم بما يلائم الإستراتيجية الجديدة ووجه رسالتين إلى الكونجرس بخصوص ميزانية الدفاع في ٢٨ مارس و ٢٥ مايو ١٩٦١م وشهد العالم في الستينات العديد من عمليات التدخل الأمريكية ضد حركات التمرد والثورات وبخاصة الشيوعية منها، نذكر منها علي سبيل المثال ما يلي:

حاولت الولايات المتحدة في عام ١٩٦١م إسقاط نظام كاسترو الشيوعي في كوريا، الذي ول إلى الحكم في يناير ١٩٥٩م بشكل سلمي لم يثر أيه أزمة، الأمر الذي صعب علي الولايات المتحدة فرصة التدخل، غير أن المخابرات المركزية نظمت عملية غزو كوبا عن طريق المنفيين الكوبيين لديهم في ١٥ إبريل ١٩٦١ تحملهم تسع طائرات أمريكية متنكرة في شكل سلاح الجو الكوبي وست سفن تحمل قوات خاصة ي حراسة السفن الحربية الأمريكية غير أن العملية فشلت، وجاءت بنتائج عكسية حيث لجأ كاسترو إلى الاتحاد السوفيتي الحماية انتهز الاتحاد السوفيتي الفرصة وزرع صواريخ عابرة للقارات في كوبا، فاضطرت الولايات المتحدة إلى محاصرة كوبا وأبت أن ترفع الحصار إلا بعد إزالة القواعد السوفيتية فوافق خروشوف سحب الصواريخ السوفيتية رغم ما تعرض له من نقد شديد من الصين الشعبية

وانتهت لأزمة مبرهنة علي صدق نظرية ماكسويل في أن أي من المعسكرين سوف يقبل استفزازات الطرف الآخر.

وظلت الولايات المتحدة تتربص بالنظام الثوري في مصر، أن رفض عبد الناصر الدخول في أحلاف مع الغرب، ولم يكتف عبد الناصر بذلك بل ساند حركات التحرر الوطني في العالمين العربي والأفريقي، الأمر الذي قدم للولايات المتحدة الفرصة لتحقيق أعظم انتصاراتها بيد حليفتها إسرائيل، التي أنزلت هزيمة ثقيلة بالجيش المصري في يونيو ١٩٦٧م.

وفي جنوب شرق آسيا كان الحقل خصباً لتجريب إستراتيجية الحرب المرنة، حيث انتشرت البؤر الشيوعية، رغم تأسيس حلف جنوب شرق آسيا SEATO بدأ التدخل الأمريكي لتقوية الشطر الجنوبي لفيتنام، ولمنع انتقال الشيوعية إليه من الشطر الشمالي فقامت بتدبير خمس انقلابات متتالية ضد فيتنام الشمالية في الفترة من أول نوفمبر ١٩٦٣ حتى ٢٨ يناير ١٩٦٥ قام بها جميعاً سلاح الطيران ألفيتنامي الجنوبي الذي يعتمد علي سلاح الطيران الأمريكي، وعندما شنت قوات فيتنام الشمالية هجوماً علي قاعدة أمريكية في فيتنام الجنوبية بدأ القصف الجوي الأمريكي لفيتنام الشمالية واشتركت قوات أمريكية ، ثم بدأ التصاعد تدريجياً في إطار الحفاظ علي فيتنام الجنوبية، غير أنها اتسع مداها تدريجياً حتى شملت المنشآت الصناعية ثم المناطق السكنية واستمرت من فبراير ١٩٦٥ حتى مارس ١٩٦٧م.

فشلت الولايات المتحدة في وضع نهاية حاسمة لحرب فيتنام رغم وصول قواتها في فيتنام في نهاية الأمر إلى نصف مليون جندي وزادت خسائر القوات الأمريكية بشكل كبير، فكانت حرب فيتنام مصيدة لإستراتيجية الحرب المرنة، ولم تكتف الولايات المتحدة بضرب الشيوعية في فيتنام الشمالية ولكنها وجهت ضربات لبؤر الشيوعية في لاوس مايو ١٩٦٤ كما أطاحت بالأمير سيهانوك بانقلاب ١٨ مارس ١٩٦٠ ثم تتبعت الثوار في أراضي كمبوديا.

وهكذا أثبتت أحداث الستينات في العالم صحة الافتراض الذي قامت عليه إستراتيجية الحرب المرنة، وهو تحمل كل طرف من القوتين العظميين لأية استفزازات يقوم بها الطرف الآخر، وبخاصة الاتحاد السوفيتي الذي تحمل بكل صبر وتؤده العمليات الأمريكية في تتبعها للحركات الثورية وبؤر الشيوعية إضافة إلى أزمة الصواريخ الكوبية وقد أثبت سباق التسلح النووي، وتفكك حلفاء الولايات المتحدة في الغرب بعد نجاح السوق الأوربية المشتركة إضافة إلى انقسام المعسكر الشيوعي، أثبت كل ذلك أن فضل الطرق هو الوفاق بين القوتين العظميين فأخذ ت تختفي بؤر الحرب الباردة وبخاصة في أوربا علي اثر عقد مؤتمر الأمن القومي في أوربا عام ١٩٧٢ والذي جاء تتوجاً للعديد من الاتفاقيات بين شطري أوربا لنبذ القوة.

الخاتمة:

وهكذا كان تاريخ أوربا المعاصر مليئا بالأحداث الجسام التي هزت العالم بحربين عالميتين لم يشهد العالم لهما من قبل مثيلا، وتغيرت خريطة أوربا السياسية إثر الحرب العالمية الأولى تغيرا جذريا، فضمت اثنين وثلاثين نظاما للعملة بعد أن كانت ثمانية عشر نظاما فقط قبلها، كما شهد العالم إثر الحرب العالمية الأولى ظهور الشيوعية في روسيا، وهي الأيديولوجية التي شكلت أحد قطبي العالم في الحرب الباردة في أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى العقد الأخير من القرن العشرين، كما ساهمت الحربين العالميتين في سباق تسلح عالمي ساهم في تطور الأسلحة على كافة المستويات بشكل مخيف، وأدخل عناصر جديدة في التسلح كان أهمها وأخطرها القنابل النووية التي تم تجريبها

في نهاية الحرب العالمية الثانية، فحصدت مئات الآلاف من البشر ودمرت مدينتين كاملتين في دقائق.

وألجأت الحربين العالميتين بما سببته من خسائر بشرية ومادية العالم إلى البحث عن وسائل عملية دولية، فكانت فكرة إنشاء منظمات دولية، تمثلت في عصبة الأمم في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ولما أثبتت فشلها في التصدي للنظم النازعة إلى حل مشكلاتها بالقوة المسلحة واشتعلت الحرب العالمية الثانية حلت محلها منظمة الأمم المتحدة، والتي مازالت بها سلبيات كثيرة، جراء حق الفيتو في مجلس الأمن الذي يطلق يد الدول الكبرى وأعوانهم يعيثون في الأرض فسادا دون رادع.

وأثبتت الأحداث في تاريخ أوربا المعاصر أن ما وصلت إليه أوربا من وحدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية تمثلت في السوق الأوربية المشتركة التي ساهمت في حالة الاستقرار التي سادت أوربا، وبخاصة القوى التي تصارعت في الحربين العالميتين، جاءت هذه الوحدة نتيجة لصراع مرير وتنافس كبير بين هذه القوى، ثم تبين لهم أن التعاون الاقتصادي أساس التفاهم السياسي والتعاون العسكري والحرص المشترك على توحيد الصفوف في مواجهة الأخطار الخارجية.

ومما لاشك فيه أن أحداث أوربا في تاريخها المعاصر لاسيما صفحة السوق الأوربي المشتركة تقدم لأمتنا العربية والإسلامية درسا واعيا، في إمكانية تكرار التجربة واستغلال الإمكانيات الاقتصادية الهائلة للعالم العربي والإسلامي، بما يجعلها قوة لا يستهان بها عالميا، فتحفظ لنفسها كرامتها وعزتها وتصون أرضها وثرواتها وتطرد غزاتها.

المصادر والمراجع:

- أحمد عبد الرحيم، **في أصول التاريخ العثماني** (دار الشروق، القاهرة، د.ت)
- إسماعيل ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي** (مكتبة العبيكان، ،لبنان، ٢٠٠٣)

- بيير رنوفن، **تاريخ القرن العشرين** (دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٩).
- جلال يحيى، **التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى** (المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٥)
- نفسه، **العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية الدول الغنية الرأسمالية والاشتراكية واليابان** (الهيئة المصرية العامة للكتاب، جـ٢، ١٩٨٧)
- دونلد كوتراد، **تاريخ الدولة العثمانية** (الرياض، ٢٠٠٠)
- روبر مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ت:بشير السباعي (دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣)
- ريمون كارتيه، **الحرب العالمية الثانية**، ت: سهيل سماحة وأنطوان مسعود (مؤسسة نوفل، بيروت، ط٢، ١٩٨٣) جـ١، ٢
- سيدنى براد شوفي، **أسباب الحرب العالمية الأولى قبل فاجعة سيراجيفو**، ت: محمود الدسوقي(القاهرة، ١٩٣٢)
- عبد العزيز نوار، **التاريخ المعاصر: أوربا من الحرب البروسية الفرنسية إلى الحرب العالمية الأولى ١٨٧١-١٩٤٥** (دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٢)
- عبد العزيز نوار وآخرون، **التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى** (دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٥)
- عبد العظيم رمضان، **تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة** (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧) جـ٢، ٣
- على محمد الصلابي، **الدولة العثمانية :عوامل النهوض وأسباب السقوط** (دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة،٢٠٠١)
- عمر عبد العزيز، **تاريخ أوربا الحديث والمعاصر**(دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠)
- فرانسو جورج وآخرون، **موسوعة تاريخ أوروبا العام من ١٧٧٩ حتى أيامنا**، ت: حسين حيدر (بيروت، ١٩٩٥)

- فلاديمير تسيمانيانو، تاريخ أوربا الشرقية، ت: أمل رواش (الهيئة المصرية العمة للكتاب، سلسلة اللف كتاب الثاني، ٢٣٧، القاهرة، ١٩٩٦)
- محمد حرب، **البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة** (المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، ١٩٩٣)
- محمد قاسم وآخرون، **تاريخ القرن التاسع عشر** (القاهرة ١٩٤٨)
- محمد خيري طلعت، **مشكلات العالم الحديث** (مطبعة رضوان، القاهرة، ١٩٩٥)
- **مذكرات لورد جراي**، ت : على أحمد شكري (القاهرة ١٩٢٩)
- نخبة من القادة العسكريين الفرنسيين، **٢١٩٤ يوما من أيام الحرب العالمية الثانية**، ت: الدار العربية للموسوعات (الدار العربية للموسوعات بيروت، ١٩٩٤م) جـ١، ٢
- هشام البطل، **الحرب العالمية الأولى ١٩١٤** (مكتبة النافذة، الجيزة، ط١، ٢٠٠٩)
- هربرت فشر، **تاريخ أوروبا المعاصر ١٧٨٩ – ١٩٥٠**، ت: أحمد نجيب وآخرون (دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٨٤)

فهرست الموضوعات

الفصل	الموضوع	الصفحة
–	مقدمة	
تمهيد	مراحل التوسع	
الفصل الأول	مقدمات الحرب العالمية الأولى	
الفصل الثاني	أحداث الحرب العالمية الأولى وسماتها ونتائجها	
الفصل الثالث	أوربا بين الحربين العالميتين	
الفصل الرابع	مقدمات الحرب العالمية الثانية	
الفصل	الحرب العالمية الثانية ونتائجها	

الخامس		
الفصل السادس	السوق الأوربية المشتركة	
الفصل السابع	أوربا والحرب الباردة	
–	الخاتمة	
–	المصادر والمراجع	